الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٩ – ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ – السنة الثانية

2me Année, No. 69. | Lundi-29-10-1934

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العـــدد ٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٥٣ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كيف نشأت فكرة هذه اللجنة ؟

بمناسبة عيدها الفضى

بقلم الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم بالجامعة المصرية وعضو اللجنة

لابد لمن يريد أن يفهم كيف نشأت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن يرجع اذا أمكنه العمرُ ، وأسعدته الذاكرة ، الى حال مصر منذ عِقدين ، أى الى عام ١٩١٤ حين تأسست اللجنة ، لا ، بل لابد له أن يرجع بذاكرته الى عقد أو بعض عقد قبل ذلك ، أيام كانت الكثرة من أعضاء اللجنة المؤسسين تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة ، تلك السن الحساسة التى فيها يتصل اليافع بالحياة العامة لأول مرة ، يتصل بها بقلبه أكثر من عقله ، ويهتز عنيفاً بحوادثَ قلَّما يفقه كُنه أسبابها ومراميها . ففى تلك السنوات صاح أول صائح أسْمعَ بالاستقلال ، فسمعنا صوته خافتاً فى حجرات الفصول النهائية للمدارس الابتدائية ،

أو سمعناه أكثر وضوحاً وأعلى نبرة فى حجرات الفصول الأولى من المدارس الثانوية ، ثم شاء الله أن يذهب بصاحب الصوت ويؤثره بجواره ، فكانت لانتقاله من الدار الى الدار رنة جزع دوت فى مصر والصعيد ، وأنتجت ذلك المشهد الخالد الذى بدأ كالبحر الزاخر عند « لازوغلى » ، ثم سال فى شوارع القاهرة خاشعاً صامتا إلا صوتا يوحد الله ، فبلغ الصحراء وما زال فى المنبع فيض ، وأبت المدارس على الطلبة الخروج ، فحطمت أبواب وفتحت قسراً نوافذ ، ورأينا جبار المعارف يطل على المشهد الرهيب من وراء حجاب وهو لا يكاد يصدق عينيه

* * *

ذلك هو الحدث الأول الذى فتح للعيون الصغيرة أول كوة تطل منها على شئ يسمى وطنا ، وعلى ناس فيه بائسين يسمون أهلا ، أو هو أول صدع فى القلوب الصغيرة فتح فيها مدخلا لحب الخير ورعاية الغير ، وقد كنا ربينا تربية من لون العصر الذى نعيش فيه ، لاتعين على الأكثر إلا على حب الذات ، والاستعداد للرزق عن طريق المرتبات

وجاء من بعد هذا الحدث أحداث ، ونحن نتماشى معها حدثا حدثا ، وجاءت من بعد هذا على الشرق ، أو على تركيا ممثلة الشرق نوازل ، ونحن نتابعها نازلة نازلة ، فكانت حرب البلقان وكانت حرب الطليان ، وجرت الشائعات بالمزعجات ، وتجهم المستقبل ، فغلت تلك القلوب الطرية الشابة ، فكانت جماعات ، وكانت اجتماعات ، وكانت مظاهر للاخلاص لا تكون إلا فى عهد النبوة ، وحوادث للتجرد من منافع النفس لا تكون إلا بوحى السماء ، وكانت آراء ، وكانت خطط للمستقبل اتسعت لها قلوبنا الكبيرة ، واتسعت لها كذلك رؤوسنا الصغيرة ، وضاقت بها ممكنات الحياة ، وأخذ العود اللين يشتد ، والبصر القاصر يمتد ، والرأى الفطير يختمر ، والخيال العالى يهبط من لازورد السماء الى سواد الأرض ، حتى جاءت الحرب العظمى ، فلم يكن بد فى مصر من طلب النهضة من أوثق السبل وأقربها من مظاهر المسالمة والسلام ، من طريق بث العلم بكل وسائل البث ، ونشر الثقافة بكل أساليب النشر ، فتألفت لجنة التأليف والترجمة والنشر من نفس ذلك النفر الذى كونته الحوادث ، وصهرته التجارب ، وميزته الآلام

* * *

« كم ربحنا من الحلبة هذا العام يا فريد ؟ » و « كم خسرنا فى الفول يا يوسف ؟ » (١) تلك كانت بضاعة اللجنة الأولى ، وذلك رأس مالها الذى كان ، جمعته من قروش بقدر ما سمحت به أكياسهم الخفيفة منذ عشرين عاما ، ولم يكن لها مقر إلا بيوت متواضعة هى منازل أعضائها . وارتأوا تأليف الكتب المدرسية والشعبية ، وفاضلوا بينها ، ونزلوا بحكم الحاجة الى المال الى أقرب الصنفين مكسبا ، فبدأوا بالمدرسية ، رجاء أن ينفق من أرباحها على الكتب الشعبية ، فكان أول كتاب أخرجته كتاب « مبادئ الكيمياء للمدارس الثانوية »

* * *

هذه هى اللجنة الى حين إنتاجها أول نتاج لها ، وهذه إشارة خفيفة الى تاريخ نشأتها ، وفى تتبع تفصيلات هذه النشأة تتبع لبعض تفاصيل النهضة المصرية فى ذلك الأوان ، فليس تاريخ اللجنة تاريخ أفراد ، ولو كان كذلك لهان ، وانما هو فصل موجز من تاريخ هذا البلد ، وقطعة صغيرة من نهضة هذه الأمة ، ومرآة يرى الرائى فيها بعض آثار ذلك الزمان

أحمد زكى

---

(١) اشارة من الكاتب الى فرع من فروع الجماعة الأولى كانت تشتغل بالتجارة لتستثمر أموال اللجنة . أما فريد فالأستاذ محمد فريد أبوحديد ، وأما يوسف فالأستاذ يوسف أحمد الجندى .

رؤيا في السماء

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أبو خالد الأحول الزاهد: لما ماتت امرأة شيخنا أبي ربيعة الفقيه الصوفي، ذهبتُ مع جماعة من الناس فشهدنا أمرها؛ فلما فرغوا من دفنها وسُوِّيَ عليها، قام شيخنا على قبرها وقال: يرحمكِ الله يا فلانة! الآن قد شُفيتِ أنتِ ومرضتُ أنا، وعُوفيتِ وابتُليت؛ وتركتِني ذاكراً وذهبتِ ناسية، وكان للدنيا بكِ معنىً، فستكون بعدكِ بلا معنى؛ وكانت حياتُكِ لي نصفَ القوة، فصار موتُكِ لي نصفَ الضعف؛ وكنتُ أرى الهمومَ بمواساتكِ هموماً في صورها المخففة، فستأتيني بعد اليوم في صورها المضاعفة؟ وكان وجودُكِ معي حجاباً بيني وبين مشقاتٍ كثيرة، فستخلص كلُّ هذه المشاقِّ إلى نفسي؛ وكانت الأيام تمرُّ أكثرَ ما تمرُّ في رقتكِ وحنانكِ، فستأتيني أكثرَ ما تأتي متجردةً في قسوتها وغلظها. أَمَا إني والله لم أُرْزَأْ منكِ في امرأةٍ كالنساء، ولكني رُزِئْتُ في الخليقةِ الكريمة التي أحسستُ معها أن الخليقة كانت تتلطف بي من أجلها!

قال أبو خالد: ثم استدمع الشيخُ، فأخذتُ بيده ورجعنا إلى داره، وهو كان أعلمَ بما يعزِّي الناسُ بعضُهم بعضاً، وأحفظَ لما وَرَدَ في ذلك؛ غير أن للكلام ساعاتٍ تبطُلُ فيها معانيه أو تضعف، إذ تكون النفسُ مُسْتَغْرِقةَ الهمّ في معنى واحدٍ قد انحصرتْ فيه، إما من هَوْل الموت، أو حبٍّ وقع فيه من الهَوْل ظلُّ الموت، أو رغبة وقع فيها ظلّ الحب، أو لجاجةٍ وقع فيها ظلُّ الرغبة. فكنت أحدِّثه وأعزِّيه، وهو بعيد من حديثي وتعزيتي؛ حتى انتهينا إلى الدار فدخلنا وما فيها أحد؛ فنظر يَمْنةً ويَسْرةً، وقلَّب عينيه ههنا وههنا، وحَوْقل واسْترجع، ثم قال: الآن ماتت الدارُ أيضاً يا أبا خالد! إن البناء كأنما يحيا بروح المرأة التي تتحرك في داخله؛ وما دام هو الذي يحفظها للرجل، فهو في عين الرجل كالمُطْرَف[1] تلبسه فوق ثيابها من فوق جسمها: وانظر كم بين أن ترى عيناك ثوب امرأةٍ في يد الدلّال في السوق، وبين أن تراه عيناك يلبسُها وتلبسُه! ولكنك يا أبا خالد لا تفقهُ من هذا شيئاً، فأنت رجلٌ آليتَ لا تقربُ النساء ولا يقربْنك، ونجوت بنفسك منهن وانقطعت بها لله؛ وكأن كل نساء الأرض قد شاركْن في ولادتك فحَرُمْنَ عليك! وهذا ما لا أفهمه أنا إلا ألفاظاً، كما لا تفهم أنت ما أجده الساعة إلا ألفاظاً؛ وشتان بين قائلٍ يتكلم من الطبع، وبين سامع يفهم بالتكلف.

فقلت له يا أبا ربيعة، وما يمنعك الآن وقد اطَّرَحْتَ أثقالك وانبتَّتْ أسبابُك من النساء — أن تعيش خفيف الظهر، وتفرُغَ للنُّسُك والعبادة، وتجعل قلبك كالسماء انقشع غيمها فسطعت فيها الشمس؛ فإنه يقال: إن المرأة ولو كانت صالحةً قانتة — فهي في منزل الرجل العابد مدخلُ الشيطان إليه، ولو أن هذا العابد كان يسكن في حسناته لا في دارٍ من الطوب والحجارة لكانت امرأتُه كُوَّةً يقتحم الشيطان منها. ولقد كان آدم في الجنة، وبينها وبين الأرض سمواتٌ وأفلاك، فما منع ذلك أن تتعلّق روحُ الأرض بالشيطان، فيتعلق الشيطان بحوّاء، وتتعلّقَ هي بآدم؛ ومكر الشيطان فصوَّرها لهما في صيغة مسئلة علمية، ومكَرتْ حواءُ فوضعتْ فيها جاذبيّة اللحم والدم، فلم تعد مسئلة علمٍ ومعرفة، بل مسئلة طبعٍ ولجاجة. فأكلا منها فبدَتْ لهما سوءاتُهما. وهل اجتمع الرجل والمرأة من بعدها على الأرض إلا كانا من نصب الحياة وهمومها، وشهواتها ومطامعها، ومضارها ومعايبها — في معنى «بدَتْ لهما سوْآتهما» . . . ؟

كلانا يا أبا ربيعة ممن لهم سَيْرٌ بالباطن في هذا الوجود غيرُ السير بالظاهر، وممن لهم حركةٌ بالفكر غيرُ الحركة بالجسم؛ فقبيحٌ بنا أن نتعلّق أدنى مُتَعَلَّقٍ بنواميس هذا الكونِ اللحميِّ الذي يُسمَّى المرأة؛ فهو تدلٍّ وإسفافٌ منا. ولعلك

(١) المطرف رداء من خز فيه نقوش تلبسه المرأة في دارها، وهو المسمى (بالروب)

تقول : « النسلَ وتكثيرَ الآدميّة . » فهذا إنما كُتِب على إنسانِ الجوارحِ والأعضاء ؛ أما إنسانُ القلبِ فله معناه وحُكمُ معناه ؛ إذ يعيش بباطنه ، فيعيشُ ظاهرُه فى قوانين هذا الباطن ، لا فى قوانينِ ظاهرِ الناس . وإنه لشرٌّ كلُّ ما نَقَلَك الى طبع أهل الجوارح وشهواتِهم ، فزَيّنَ لك ما زُيِّن لهم ، وشغلك بما يَشْغَلُهم ؛ فهذا عندنا — رحمك الله — بابٌ كأنه من أبواب المجون الذى ينقل الرجلَ الى طبع الصّبيّ .

فاطمس يا أخى على موضعها من قلبك ، وألْقِ النورَ على ظِلها ؛ فالنور فى قلب العابدُ نور التحويل إن شاء ، ونور الرؤية إن شاء ، يرى به المادّةَ كما يريد أن تكون لا كما تكون . وأنت قد كانت فيك امرأة ، فَحوِّلْها صلاةً واعمل بنورك عكسَ ما يعمل أهلُ الجوارح بظلامهم ، فقد تكونُ فى أحدهم الصلاةُ فيُحولُها امرأة . . .

قال أبو ربيعة : تالله إنه لرأيٌ ؛ والوحدةُ بعد الآن أرْوَحُ لقلبى ، وأجْمعُ لهمى ؛ وقد خلعنى اللهُ مما كنتُ فيه ، وأخذ القبر امرأتى وشهواتى معاً ، فسأعيش ما بقىَ لى فيما بقى منى . وزوال شيء فى النفس هو وجود شيء آخر . ولقد انتهيتُ بالمرأةِ ومعانيها وأيامها الى القبر ، فالبَدْءُ الآن من القبر ومعانيه وأيامه .

***

وتواثقا على أن يسيرا معاً فى (باطن) الوجود . . . ! وأن يعيشا فى عمرٍ هو ساعةٌ معدودةُ اللحظات ، وحياةٍ هى فكرةٌ مرسومة مصوَّرة . قال أبو خالد : ورأيت أن أبيت عنده وفاء بحقّ خدمته ، ودَفعاً للوحشة أنْ تُعاوده فتدخل على نفسه بأفكارها ووساوسها . وكان قد غمرنا تعبُ يومنا ، وأعيا أبو ربيعة وخذلته القوة ؛ فلما صلّينا العشاء قلت : يا أبا ربيعة ، أحبّ لك أن تنعَس فتريح نفسك ليذهب ما بك ، فاذا استَجْمَمْتَ أيقظتك فقمنا سائر الليل .

فما هو إلا أن اضطجع حتى غلبه النعاس . وجلست أفكّر فى حاله وما كان عليه وما اجتهدت له من الرأى ؛ وقلت فى نفسى : لعلنى أغريته بما لا قبل له به ، وأشرْت عليه بغير ما كان يحسن بمثله ، فأكونَ قد غششته . وخامرنى الشكُّ فى حالى أنا أيضاً ، وجعلت أقابل بين الرجل متزوِّجاً عابداً ، وبين الرجل عابداً لم يتزوج ؛ وأنظر فى ارتياض أحدهما بنفسه وأهله وعياله ، وارتياض الآخر بنفسه وحدها ؛ وأخذت أذهب وأجيء من فكر إلى فكر ، وقد هدأ كل شيء حولى كأن المكان قد نام ، فلم ألبثْ حتى أخذتنى عينى فنمت وَاسْتَثْقَلْت ، كأنما شُدِدْتُ شدّاً بحبال من النوم لم يجيءْ من يقطعها .

ورأيت فى نومى كأنها القيامةُ وقد بُعِثَ الناس وضاق بهم المحشر ، وأنا فى جملة الخلائق ، وكأننا من الضَّغْطَةِ حَبٌّ مَبْثُوثٌ بين حَجَرَىْ الرَّحى . هذا والموقفُ يَغْلِي بنا غَلَيَان القِدر بما فيها ، وقد اشتدّ الكربُ وجَهَدَنا العطش ، حتى ما منا ذو كبدٍ إلا وكأن الجحيم تتنفس على كبده ، فما هو العطش بل هو السُّعار واللهبُ يَحْتَدِمُ بهما الجوف ويَتأَجّج .

فنحن كذلك إذا وِلْدانٌ يتخلَّلُونَ الجمعَ الحاشد ، عليهم مناديلُ من نور ، وبأيديهم أباريقُ من فِضةٍ وأكوابٌ من ذهب ، يملئون هذه من هذه بِسَلْسالٍ بَرُودٍ عَذْب ، رُؤْيتُه عَطَشٌ مع العطش ، حتى ليتلَوّى مَنْ رآه من الألم ، وَيَتَلَعْلَعُ كأنما كُوِىَ به على أحشائه .

وجعل الوِلْدانُ يَسْقون الواحدَ بعد الواحد ويتجاوزون مَنْ بينهما وهم كَثْرَةٌ من الناس ، وكأنما يتخلّلون الجمعَ فى البحث عن أناس بأعيانهم يَنْضَحون غليلَ أكبادهم بما فى تلك الأباريق من رَوْحِ الجنة ومائها ونسيمِها .

ومَرّ بى أحدهم ، فمددتُ اليه يدى وقلت : « اسْقِنى فقد يَبِسْتُ واحترقت من العطش ! »

قال : « ومن أنت ؟ »

قلت : « أبو خالد الأحول الزاهد . »

قال : « أَلَكَ فى أطفال المسلمين ولدٌ افْتَرَطته صغيراً فاحتسبته عند الله ؟ »

قلت : « لا . . . »

قال : « أَلك ولدٌ كَبِر فى طاعة الله ؟ »

قلت : « لا . . . »

قال : « ألك ولدٌ نالتْك منه دعوةٌ صالحة جزاء حقِّك عليه فى إخراجه الى الدنيا ؟ »

قلت : « لا . . . »

قال : « ألك ولدٌ من غير هؤلاء ولكنك تعبتَ فى تقويمه ، وقُمْتَ بحق الله فيه ؟ »

قلت : « يرحمكَ الله ، إنى كلما قلتُ « لا » أحسست « لا » هذه تمرُّ على لسانى كالمِكْواةِ الحامية . . . »

قال : « فنحن لا نسبق إلا آباءنا ؛ تعبوا لنا فى الدنيا ، فاليوم نتعب لهم فى الآخرة ؛ وقدّموا بين يديهم الطفولة ، وإنما قدّموا ألسنةً طاهرةً للدفاع عنهم فى هذا الموقف الذى قامت فيه محكمةُ الحَسَنةِ والسيئة . وليس هنا بعد ألسنةِ الأنبياء أشدُّ طلاقةً من ألسنة الأطفال ، فما للطفل معنى من معانى آثامكم يَحْتبِس فيه لسانُه أو يَلجلِجُ به »

قال أبو خالد : فجُنَّ جنونى ، وجعلتُ أبحث فى نفسى عن لفظةِ « ابن » فكأنما مُسحتِ الكلمةُ من حفظى كما مُسحتْ من وجودى ؛ وذكرت صلاتى وصيامى وعبادتى ، فما خطرت فى قلبى حتى ضحك الوليدُ ضحكاً وجدتُ فى معناه بكائى وندمى وخيبتى

وقال : ياويلك ! أماسمعت : «إن من الذنوب ذنوباً لا تكفِّرها الصلاة ولا الصيام ، ويُكفِّرها الغمُّ بالعيال . » أتعرف من أنا يا أبا خالد ؟

قلت : من أنت يرحمنا الله بك ؟

قال : أنا ابن ذاكَ الرجل الفقير المُعيل ، الذى قال لشيخك ابرهيم بن أدهم العابد الزاهد : « طوبى لك ! فقد تفرّغتَ للعبادة بالعزوبة . » فقال له ابرهيم : « لرَوْعةٌ تنالك بسبب العيال أفضلُ من جميع ما أنا فيه . . . » . وقد جاهد أبى جهادَ قلبه وعقله وبدنه ، وحَمَلَ على نفسه من مقاساة الأهل والولد حَمْلَها الانسانيَّ العظيم ، وفكّر لغير نفسه ، واغتمّ لغير نفسه ، وعمل لغير نفسه ، وآمن وصبر ووثق بولاية الله حين تزوّجَ فقيراً ، وبضمان الله حين أعقب فقيراً ؛ فهو مجاهد فى سبلٍ كثيرة لا فى سبيل واحدة كما يجاهد الغزاة ؛ هؤلاء يستشهدون مرة واحدة ، أما هو فيستشهد كل يوم مرة فى همومه بنا ، واليوم يرحمه الله بفضل رحمته إيانا فى الدنيا

أما بَلَغَكَ قولُ ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغَزْو : « أتعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا : ما نَعْلَمُ ذلك . قال : أنا أعلم . قالوا فما هو ؟ قال : رجل مُتَعَفِّفٌ على فقره ذو عائلة قد قام من الليل ، فنظر الى صبيانه نياماً مُتَكشِّفِينَ ، فسترهم وغطاهم بثوبه ؛ فَعَمَلُهُ أفضل مما نحن فيه . . . »

يخلع الأب المسكين ثوبه على صبيته ليُدْفِئَهم به ويتلقى بجلده البردَ فى الليل . إن هذا البرد — يا أبا خالد — تحفظه له الجنة هنا فى حرّ هذا الموقف ، كأنها مؤْتَمَنةٌ عليه إلى أن تؤدّيه . وإن ذلك الدفء الذى شمل أولاده يا أبا خالد — هو هنا يقاتل جهنم ويدفعها عن هذا الأب المسكين

قال أبو خالد : ويَهُمُّ الوليدُ أن يمضىَ ويدعنى ، فما أملك نفسى ، فأمدّ يدى إلى الابريق فأنتشطُه من يده ، فاذا هو يتحوّل إلى عظمٍ ضخمٍ قد نَشِب فى كَفّى ومايليها من أسَلةِ الذراع[1] فغابت فيه أصابعى ، فلا أصابعَ لى ولا كَفَّ . وأبى الابريقُ أن يسقيني وصار مُثْلةً بى ، وتجسّدتْ هذه الجريمةُ لتشهدَ علىّ ، فأخذنى الهولُ والفزع ، وجاء إبريقٌ من الهواء ، فوقع فى يد الوليد ، فتركنى ومضى

وقلت لنفسى : ويحك يا أبا خالد ! ما أراكَ إلا مُحاسَباً على حسناتك كما يُحاسَب المذنبون على سيئاتهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

وبلغتْني الصيحةُ الرهيبة : أين أبو خالد الأحول الزاهد العابد ؟

قلت : هأنذا .

قيل : طاووسٌ من طواويس الجنة قد حُصَّ[2] ذَيْله فضاع أحسنُ مافيه ! أين ذَيْلكَ من أولادك وأين محاسنُك فيهم ، أُخلِقتْ لك المرأةُ لتتجنّبها ، وجُعِلْتَ نسْلَ أبويك لتتبرّأ أنت من النسل ؟

---

(١) الأسلة : مايلى الكف من الذراع إلى القسم المستغلظ منها . فالأسلة هى العظمة التى تشد عليها ساعة اليد

(٢) حص ذيله : قطع وجذ .

جئت من الحياة بأشياء ليس فيها حياة ؛ فما صنعتَ للحياة نفسها إلا أن هربت منها وانهزمتِ عن ملاقاتها ، ثم أنت تأمُلُ جائزة النصر على هزيمة . . !

عَمِلتْ الفضيلةُ فى نفسك ونشأتك ، ولكنها عَقِمَتْ فلم تعمل بك . لك ألفُ ألفِ ركعةٍ ومثلُها سَجدَاتٌ من النوافل ، وخَيْرٌ منها كلِّها أن تكون قد خرجتْ من صلبك أعضاءٌ تركع وتسجد

قتلت رجولتك ، ووأدْت فيها النسل ، ولبثت طوال عمرك ولداً كبيراً لم تبلغ رتبةَ الأب ! فلئن أقمت الشريعة ، لقد عطّلت الحقيقة ، ولئنْ . . . . . .

قال أبو خالد : ووقعتْ غُنَّةُ النونِ الثانية فى مسْمَعيَّ من هول ماخفتُ مما بعدها كالنّفخ فى الصُّور ؛ فطار نومى وقمتُ فزعاً مُشتَّت القلب ، كمن فتح عينيه بعد غشيةٍ فرأى نفسه فى كفنٍ فى قبرٍ سُدَّ عليه . . . !

وما كدْت أعى وأنظر حولى وقد برق الصبح فى الدار حتى رأيت أبا ربيعة يتقلّب كأنما دُحرجتْهُ يد ، ثم نهض مُستطار القلب من فزعه وقال : أهلكتني يا أبا خالد ، أهلكتَنى والله .

***

قلت : ما بالك يرحمك الله !

قال . إنى نمت على تلك النيّة التى عرفتَ : أن أجمع قلبى للعبادة ، وأخلُص من المرأة والولد ، ومن المعاناة لهما فى مرمَّة المعاش والتلفيق بين رغيفٍ ورغيف ، وأن أُعْتِقَ نفسى من لأوائهم وضرّائهم وبلائهم لأفرغ إلى الله وأقبل عليه وحده . وسألت الله أن يخير لى فى نومى ؛ فرأيت كأن أبواب السماء قد فتحتْ ، وكأن رجالاً ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضاً ، أجنحةً وراء أجنحة ؛ فكلما نزل واحد نظر إلىّ وقال لمن وراءه : هذا هو المشئوم !

فيقول الآخر : نعم هو المشئوم !

وينظر هذا الآخرُ إلىّ ثم يلتفت لمن وراءه ويقول له : هذا هو المشئوم !

فيقول الآخر : نعم هو المشئوم !

ومازالت « المشئوم ، المشئوم » حتى مرُّوا ؛ لا يقولون غيرها ولا أسمع غيرها ، وأنا فى ذلك أخاف أن أسألهم ، هيبةً من الشؤم ، ورجاء أن يكون المشئوم إنساناً ورائى يُبصرونه ولا أبصره . ثم مرّ بى آخرهم ، وكان غلاماً . فقلت له : يا هذا ، من هو المشئوم الذى تومئون إليه ؟

قال : أنت !

فقلت : ولم ذاك ؟

قال : كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله ، ثم ماتت امرأتك ، وتحزّنت على مافاتك من القيام بحقّها ، فرفعْنا عملك درجة أخرى ؛ ثم أمرْنا الليلة أن نضع عملك مع الخالفين الذين فرّوا وجبُنوا ! . . . .

***

إن سُمُوَّ الرَّجُلِ بنَفْسِهِ عن الزَّوْجَةِ وَالولَدِ طَيَرَانٌ إلى الأَعْلَىٰ . . . ولكنَّه طيَرَانٌ على أَجْنحَةِ الشَّيَاطِين !

طيَرَانٌ بالرجُلِ إلى فُوَّهَةِ البُرْكانِ الَّذِىْ فى الأَعْلَىٰ . . !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الشيخ على يوسف

للأستاذ عبد العزيز البشرى



الشيخ على يوسف

فى يوم ٢٥ أكتوبر من سنة ١٩١٣ والقلوب واجفة ، والأبصار زائغة ، ومصاير الأمور تتواثب للأوهام فى صوَر مبهمة غامضة ، تضطرب بين اليأس كله ، وبين الرجاء كله ، والناس يتساءلون متهامسين من الخوف ومن الورع : تُرى ماذا عسى أن يكون قسم مصر من هذه الحرب العامّة ، وماذا كتبت لها الأقدار ، فى صفحتى الليل والنهار ؟

فى ذلك اليوم من تلك الأيام السوداء مات رجل ليس مثله فى مصر كثير ، رجل إذا أحبه ناس أشد الحبّ ، فلأنه قوة كبيرةٌ فى مصر . وإذا كرهه ناس أشد الكره ، فلأنه قوة كبيرة فى مصر ، فالشيخ على يوسف ، على تفرق الأهواء فيه ، كان قوة هائلة فى هذه البلاد يحسب الناسُ جميعاً لها كل حساب

ولقد كنت من الذين أبغضوا الشيخ علياً أبعد البغض ، ثم كنت من الذين يحبونه أغلى الحبّ ، ولا والله ما رأيته فى حالى بغضى وحبى له إلاّ رجلا عظيما !

مات الشيخ على يوسف فى ذلك اليوم فما قامت الدنيا لموته كما كان ينبغى أن تقوم ، ولا قعدت الدنيا لموته كما كان ينبغى أن تقعد ؛ بل لقد شيّع ودُفن كما يُشيّع ويُدفن أوساط الناس ، وكأن الناس لم يشيعوا فيه مفخرة من مفاخر مصر ، ولا أودعوا الضريح كنزاً من كنوزها الثّمان !

لا أقول إنه الاهمال السيئ ، ولكن أقول إنه الظرف السيئ ولا أريد المزيد

والآن تسأل الشباب المثقفين المتعلمين عن الشيخ على يوسف ، وكيف كان خطبه فى البلاد من إحدى وعشرين سنة فقط ، فترى أقلّهم من لا يعرف عنه كثيراً ، وترى أكثرهم من لا يعرف عنه كثيراً ولا قليلا !

أهكذا ، وبهذه السرعة السريعة ، تختفى سيَر الرجال عندنا كما تختفى الصور إذا ساد الظلام ، أو كما تختفى أشباح الرُّؤى ساعة الهبوب من المنام ؟

وإننى لأضيف الوزر فى هذا أيضاً على الظروف . والحمد لله الذى جعل لنا من هذه (الظروف) تُكأة نعتمد عليها كلما غشيتنا غاشية من الاهمال ، أو طاف بنا طائف من سيئ الأعمال !

***

ولقد قُلّد الشيخ على منصب مشيخة السجادة الوفائيـة ، فاستحق بهذا أن يسمى السيد علياً ؛ وقلده الخليفة العثمانى الرتبة الأولى من الصنف الثانى ، فاستحق بذلك أن يدعى على بك أو على باشا يوسف ؛ ولكننى لا أعبّر عنه إلاّ بالشيخ على يوسف . هذا الاسم الذى طالما رنّ فى الآذان ، وتجاوبت به الأصداء من كل مكان : الشيخ على يوسف ! الشيخ على يوسف ! وحسبه بهذا لقباً ، بعد ما اعتز بنفسه حسباً ، وكرُم بالرسول الأعظم نسباً

كان الشيخ على يوسف رجلا عصامياً بأوفى معانى الكلمة . نجم فى (بلصفورة) من بلاد مديرية جرجا ، فى أسرة إذا كرم أصلها فقد رقّت حالها . ولا تنس أن المال هو كل شىء فى هذا الزمان . وتعلم القراءة والكتابة فى كتّاب القرية ، وحفظ القرآن الكريم . ثم انحدر إلى بنى عدىّ من أعمال مديرية أسيوط . فطلب العلم هناك على الشيخ حسن الهوارى ، ثم قدم الأزهر فطلب العلم فيه بضع سنين

وإلى هنا كانت حياة الشيخ على حياة عادية بحتاً ، فلم يزد خطبه على مجاور مغمور فى ذلك الخضرم الزاخر بآلاف المجاورين .

وتستشرف نفس الفتى للأدب . والأدب فى ذلك الوقت أن تقول شعراً مقفى موزوناً . فاذا أعوزك العروض ، وعُميّت عليك أوزان الشعر ، فحسبك أن يكون المصراع فى طول المصراع . فان

زاد الكلم فى تصغير الكتابة وتدقيق الحروف متسع للجميع .

وعلى شرط أن تتغزل . فتتغزل كلما طلبت مديحاً ، وتتغزل كلما أردت رثاء ، وتتغزل كلما ابتغيت هجاء . وكانت هذه ، وخاصة فى البيئة الأزهرية أهم فنون الشعر ، إن لم تكن جميع فنون الشعر .

وعلى هذا قرض الشعر المجاور على يوسف ، فذهب له به بين المجاورين صيت وذكر

ولقد كان الأدب يحمد من المجاور عند أشياخه إلا أن يسرف فيه ويجرد له صدراً كبيراً من وقته ، فإنهم كانوا يكرهون ذلك منه ، لأنه فى الواقع يشغله ، بقدر ما ، عن توفير الذهن على الدرس والاستذكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) والعياذ بالله ! وحسبه فى العام قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة أو اثنتين يرثى بهما من يموت من علية العلماء

وأسرف الشيخ علىّ فى قرض الشعر ، فمدح ورثى ، وتغزل (بالطبع) وهجا ، حتى اتسق له من هذا النظم ما جمعه بعد فى ديوان كامل ، وبهذا أصبح مجاوراً ممتازاً و إن حق عليه القول ، وتراءى له شبح الهول !

إذن أصبح الشيخ مجاوراً ممتازاً بين المجاورين بالأدب ، أو إن شئت قلت ، لقد أدركته من الناحية الأزهرية ، حرفة الأدب

ولقد دعاه هذا إلى الاختلاف إلى مجالس الأدباء ، ومساهرتهم ومسامرتهم والتروّى عنهم ، ثم إلى غشيان دور بعض العلية ممن كانوا يجلسون لأهل العلم والفضل والأدب ، فيتحاضرون ويتذاكرون . وأقبل الشيخ على هذا الشأن بقدر ما أدبر عن الكد فى دروس الأزهر . ثم جعل يرسل المقالات المنثورة فى الصحف والمجلات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت ، وكان يكتب أول الأمر على طراز الكاتبين فى عصره : مقدمات طويلة تمهد بين يدى كل موضوع ولو لم تدع إليها حاجة الكلام ، واحتفال للمحسنات البديعية تستكره استكراهاً ، ولو استهلكت الغرض المطلوب

على أن من حسن حظ الشيخ علىّ أنه ابتدأ فى معالجة الكتابة فى الوقت الذى انبعثت فيه تلك النهضة البيانية الفاخرة ، تلك النهضة التى نفخ ضرامها بالأرشاد والتنبيه السيد جمال الدين الأفغانى ، وبالفعل من الأنشاء والتعليم والتأليف الشيخ حسين المرصفى ، وللشيخ على طبيعة ، وفيه فطنة قوية ، فجعل يدرب قلمه ويروضه على إرسال البيان سهلاً جزلاً خالياً من الاعتساف ، متطلقاً من تكاليف البديع

وفى هذا المقام يجدر بى أن أنبه إلى شىء جدير بالانتباه : ذلك أن حسن البيان وجودة المقال لا ترجع فى جميع الأحوال إلى تمكن الكاتب من ناصية اللغة ، وتفقهه فى أساليبها ، وبصره بمواقع اللفظ منها ، واستظهاره لصدر صالح من بلاغات بلغائها ، إلى حسن ذوق ورهافة حسّ ، بحيث يتهيأ له أن يصوغ فكرته أنور صياغة ، ويصورها أبدع تصوير . بل إن ذلك ليرجع فى بعض الأحوال ، وهى أحوال نادرة جداً ، إلى شدة نفس الكاتب وقوة روحه . فقد لا يكون الرجل وافر المحصول من متن اللغة ، ولا هو على حظ كبير من استظهار عيون الكلام ، ولا هو بالمعنىّ بتقصى منازع البلاغات ، ومع هذا لقد يرتفع بالبيان إلى ما تتقطع دونه علائق الأقلام . ذلك لأن شدة نفسه ، وجبروت فكرته ، تأبى إلا أن تسطو بالكلام فتنتزع البيان انتزاعا . ولعل فى بيان السيد جمال الدين الأفغانى ، وهو غريب عن العربية ، وقاسم بك أمين وهو شبه غريب عنها ، أبين مثال على هذا الذى نقول . ولقد يعجب القارىء أشد العجب إذا زعمت له أن المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان رجلاً قلّ أن تطرد على لسانه ثلاث كلمات عربية متواليات ، لقد كان أحياناً يرتفع بالعبارة الى ما يتخاذل من دونه جهد أعيان البيان !

والآن أستطيع أن أزعم أن الشيخ على يوسف ، على أنه تعلم فى الأزهر ، وقرأ طرفاً من كتب الأدب ، واستظهر صدراً من مظاهر البلاغة فى منظوم العربية ومنثورها — إلاّ أنه لم يكن مديناً فى بيانه لشىء من هذا بقدر ما كان مديناً لشدة روحه وسطوة نفسه . وإنك لتقرأ له المقال يخلبك ويروعك ، وتشعر أن أحداً لم ينته فى البيان منتهاه . ثم تقبل على صيغه تفتشها وتفرّها ، فلا تكاد تقع على شىء من هذا النظم الذى يتكلفه صدور الكتاب . وبهذا أنشأ الرجل لنفسه أسلوباً ، أو على الصحيح لقد خط قلمه القوىّ نهجاً من البلاغة غير ما تعاهد عليه الناس من منازع البلاغات

ولندع الآن بيان الشيخ على وأثره ، فلذلك موضع آخر من هذا الحديث . ونعود إلى تاريخ الرجل فنقول إنه ما كاد يستوى له ذلك القدر من الأدب حتى أنشأ مجلة دعاها (الآداب) . وهى وإن لم تكن شيئاً يذكر بالقياس إلى المجلات الأدبية القائمة الآن ، إلاّ أنها كانت شيئاً مذكوراً بالقياس إلى المجلات التى كانت قائمة فى ذلك العهد . وخاصة بعد إذ عفّى الزمن على مجلة روضة المدارس التى كان يقوم على تحريرها وإجالة الأقلام بروائع البيان فيها صدور العلماء والشعراء والكتاب

المؤيد

وإذا قلت « المؤيد » قلت شطر من تاريخ مصر محتفل بالأحداث العظام

راع أهل الرأى فى مصر أن ليس لهذه الأمة ، أعنى للمسلمين وهم كثرتها الكثيرة ، صحيفة تتحدث عنها وتدلى بحاجاتها ، وتترجم عن أمانيها ، وتذود عن حقوقها وكرامتها . وإن أمة ليس لها فى هذا الزمان صحيفة ، لهى أمة لا تحس لنفسها وجوداً . ولقد قوى الشعور بشدة الحاجة إلى صحيفة وطنية إسلامية بعد إذ صدر المقطّم صحيفة تظاهر الاحتلال الانجليزى ، وتروّج للسياسة الانجليزية فى هـــذه البلاد ، وتدفع فى صدر الأمانى القومية مااعترضت تلك السياسة فى يوم من الأيام . وهنا يتقدم الشيخ على مع صاحب له يدعى الشيخ أحمد ماضى فينشئان جريدة المؤيد يومية سياسية وطنيـة إسلامية . ثم لايلبث الشريكان أن يختلفا ، ولايخرج أحدهما عن الشركة إلاّ على مال ، والمال فى يد الشيخ على أقلّ من القليل . وهنا تحركت أريحية بعض كبار المصريين فأدوا المال عن الشيخ إلى صاحبه . وهكذا خلص المؤيد للشيخ على يوسف . وكان للمرحوم سعد باشا زغلول فى هذا سعى مشكور

وأذكر أنه لما أتى رحمه الله ، بمطبعة جديدة من طراز (الروتاتيف) وعقد لذلك حفلاً جامعاً فى إدارة المؤيد خطب فى الجمع فأتى فى سيرة المؤيد على هذه الحادثة ، ونوّه بفضل سعد بك زغلول (المستشار بمحكمة الاستئناف) الذى أبى أن يسمع هـذه الخطبة إلاّ واقفاً

وجرى المؤيد طلقاً ، والله يعلم كم عانى الشيخ على فى إخراجه فرداً لا مُسعد له من معين أو من مال . الحق أن الرجل لقد جاهد فى هذا جهاد الجبابرة ، وعانى عناء لو صوّره القلم على حقيقته لظنه الناس من إحدى القصص التى تمثلها أخيلة الكتاب . وهكذا لم يمض زمن طويل حتى جنى ثمرة الصبر العجيب (إنّ الله مع الصّابرين) صدق الله العظيم

مضى المؤيد يحرره الشيخ على يوسف ، ويرفده بالمقالات البارعة أعيانُ أهل الرأى والعلم والأدب فى البلاد من أمثال المرحومين الشيخ محمد عبده ، وسعد بك زغلول ، وقاسم بك أمين ، وفتحى بك زغلول ، وحفنى بك ناصف ، وكثير غيرهم من أصحاب البيان . وكانوا يُسرّون أسماءهم فى الأحاديث السياسية ، بوجه خاصّ ، فذلك مما لا تأذن به المناصب الحكومية بحال . وكذلك أضحى المؤيد مجالاً لأخيل الأقلام وأنضج الآراء . بل لقد أضحى المدرسة التى تخرج عليها من شهدوا الجيل الماضى من أعلام البيان

ويسير المؤيد ، ويذهب صيته لافى مصر ولا فى العالم العربىّ فحسب ، بل فى العالم الاسلامىّ كله ، فلقد أصبح لسانه المعبرّ أفصح تعبير عن حقيقة حاله ، والمترجم أنصح ترجمة عن آلامه وآماله ، ومتحدّث أخبار المسلمين ورواويها ، وملتقى أفكارهم فى قواصى الأرض وأدانيها

لايرحل الناسُ إلانحو حجرته ... كالبيت يفضى إليه ملتقى السبُل

وحسبنا هـذا القدر الآن فى المؤيد وفى صاحب المؤيد . وسنعاود الحديث فيه إن شاء الله تعالى عسى أن نوفيه بعض حقه إن لم نوفه كل حقه . رحمة الله عليه ؟

عبد العزيز البشرى

لا مؤاخذة

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

كنت أعرف رجلاً طيب القلب بلغت منه طيبة القلب مبلغاً عظيما . فكان يحب الخير ولا يميل إلى الأذى ، ويعف عما فى أيدى الناس ، ويعطيهم مما فى يديه أكثر مما كان ينبغى له ، حتى إنه كان يحب أحياناً أن يولم لبعض أصدقائه وليمة فلا يجد ما يولم لهم به من المال فى كفه ، فيدفعه حرصه على إرضائهم إلى أن يؤذى نفسه فى سبيل ذلك الرضا ، فقد استدان مرة بضعة جنيهات من صديق له وأولم فى اليوم التالى لبعض أصدقائه وليمة لذيذة ، وأبى عليه كرمه أن يهمل صديقه الذى استدان منه فدعاه إلى الحضور ، وكانت فكاهة الأصدقاء بنبأ الوليمة والدين الذى ركب صاحبها من ورائها سبباً فى شحذ شهوة الطعام فى الجمع حتى لم يبقوا على شىء من ذلك الطعام اللذيذ

غير أن هذا الرجل الطيب كان فيه عيب واحد لا أعرف فيه عيباً سواه ، وهو أنه كان يعنى عناية عظيمة برأى الناس فيه ، فلا يكاد يسمع من أحد مدحاً فى نفسه حتى يثور طربه ، ويهتز للمديح اهتزاز الغصن الرطب فى الريح ، وقد تدفعه الأريحية عند ذلك إلى الخروج عن طاقته فى جزاء المادح ؛ وأما إذا هو سمع أحداً يذمه ولو ذماً ضئيلاً ، فانه لا يتمالك نفسه من الغضب ، وقد تكون غضباته مضرية هائجة ، ولولا إنه من الثابتين المطمئنين إلى حكم القانون ، لكان لا يرى شيئاً يغسل عنه معرة الذم ، إلا أن يراق فى سبيلها الدم . وقد عرفت أنه سمع مرة أن بعض الناس يقعون فيه ويذمونه بأنه يأكل فى بيته الثريد بأصابعه الخمس ، وأنه ما يكاد يصل إلى بيته حتى يخلع ثيابه المحترمة ، ويلبس لباساً ساذجاً مما يلبسه عامة الناس من طبقات الفقراء ، فيضع على رأسه لبدة بيضاء من الصوف الخشن ، ويلبس فى رجله قبقاباً من الخشب الثقيل ، ويلبس على جسمه جلباباً من القطن الرخيص ، فما كاد يسمع ذلك القول حتى ثارت ثائرته ، وجعل يصيح فى الحاضرين بأعلى صوته واصفاً ما يلبس وما يأكل ، مجتهداً أن يطلع الناس على حاله فى بيته ، وعلى ما هو عليه من تمتع بأقصى ما يتمتع به المتحضرون المتأنقون ؛ ولعله قد لاحظ شيئاً من التردد بين سامعيه فى تصديق أقواله ، فجعل يزيد فى التأكيد حتى بلغ الأمر منه أن جعل يقسم لهم جهد الايمان ، ولما أحس مع كل ذلك أن السامعين فيهم المعاند والمكابر ، اتخذ خطة عملية حازمة لبيان صدق قوله . فقد حلف على الجميع وعزم أشد العزيمة أن يزوروه فى منزله فى صباح الغد ليقيموا عنده النهار أجمعه فيطلعوا على أسلوب حياته معاينة واختباراً . ثم ذهب من فوره إلى أقرب أصدقائه إليه ، وأوثقهم مودة عنده ، وأملئهم جيباً . فاستدان منه مايستعد به لحفلة الغد ، ولم ينس أن يدعوه فى المدعوين لشهود ما هو على نية إظهاره وإجلائه

ولكن لا يظنن أحد من القراء أننى أصف هذا الرجل لأنه ممن يستحق العناية الخاصة لميزة فى شخصه ، أو لمكانة له بين الناس . فانما أنا أسوقه مثلاً لقوم فى مصر يريدون أن يقحموا البلاد فى مثل ما تورط فيه صاحبنا هذا . فمثلاً قد تكرر ما قال القائلون من الدعوة لمصر فى الخارج ، وما صاح الصائحون من وجوب إظهار أهل الغرب على ما نحن عليه من رقى وتحضر ، وهم لا يضنون على ذلك السعى بالمال مهما عظم مقداره ، والحق إننى أعطف أشد العطف على وطنية هؤلاء وسلامة طويتهم . فمثلاً قد ذهب أحد المصريين إلى مؤتمر من المؤتمرات ، وكان بطبيعة الحال لابساً بذلة من البذلات الرسمية الوجيهة ، فمال عليه جاره وكان من ممثلى بعض دول الغرب فسأله عما هو صانع ببذلته تلك بعد انصرافه من المؤتمر . وأغلب ظنى أن ذلك الزميل الأوربى المحترم قد ظن فى الممثل المصرى أنه لا يكاد ينفلت من المؤتمر حتى يرمى بتلك البذلة فوق أقرب شجرة من شجر الجميز إذا بلغ الطريق المؤدية إلى عاصمة بلاده ، وهو راكب جملاً قوياً يحمله فى سفره ، ثم يقف تحت تلك الشجرة ينتظر مرور أول وعل من وعول الجبل فيرميه بسهم من قوسه الشديدة ، ويسلخ عنه جلده ، وينشره فى الشمس يوماً أو بعض يوم ، ثم يلبسه بدل بذلته الرسمية . ثم يتابع سيره نحو العاصمة لمقابلة أولى الأمر فيها ، وإبلاغهم نتيجة بحوث المؤتمر الذى كان يمثل بلاده فيه . لعل ذلك الزميل قد حسب هذا ، ولا بد أن الممثل المصرى قد تصور هذا الظن ، ورأى فيه مساساً عظيما بكرامته وكرامة بلاده

فغضب له ، وجاء يشكوه لبني وطنه ليظهر لهم مقدار جهل الناس بحقيقتهم ، وقد سمع هذا القول طائفة من الناس فغضبوا له غضباً شديداً ، وجعلوا يطالبون بأن تبذل الحكومة من أموال الشعب بضع مئات من الوف الجنيهات الذهبية لكي تنظم دعوة لاطلاع أهل الغرب على حقيقة أمر الشعب المصري

وإنني لا أرى مانعاً يمنع من بذل المال ، ولا من القيام بدعوة فى سبيل مصر ، فكل شيء فى خدمة مصر هين ، وكل قصد الحياة هو خدمة مصر

ولكني مع ذلك أحب أن تتجه الدعوة نحو قصد مخالف كل المخالفة لما يريد هؤلاء السادة أن يدعوا اليه . ولا يسعني إلا أن أعتذر لهم وللقراء عن هذه المخالفة التي قد تغضبهم متى وصفت لهم حقيقتها ، ولا أجد شيئاً أقدر أن أعتذر به اليهم إلا أن أقول لهم : « لامؤاخذة » ، فان هذه الكلمة كلمة سحرية ، وقد جربت أثرها فى مختلف المواقف ، فوالله ما خانني سحرها يوماً ، ولا خذلني نصرها فى ساعة من ساعات الشدة . فكم وطئت على أقدام فى الترام وقت الزحام ، فلما رأيت ثورة الذى وطئت قدمه أسرعت وتلفظت بذلك الطلسم ، فاذا وجهه تشرق عليه ابتسامة عريضة ، ويهز رأسه لى ، كأنما هو يعتذر عما ظهر على وجهه من التجهم فى أول الأمر . وكم أخطأت فلم ينجني من تبعة الخطأ إلا هذا اللفظ المبارك ، وكم خرجت عن حدود اللياقة ونفذت الى العفو الفسيح من مداخل هذا اللفظ البديع . فلا مؤاخذة أيها السادة إذا كنت أعتقد أن خير مصر ونفع الوطن فى أن نبذل بضعة آلاف أو بضع مئات من الآلاف من جنيهات الذهب ، على أن يقوم جماعة من المخلصين لمصلحة هذه البلاد بدعوة فى شعوب العالم أجمع ، يعلون فيها من ذكر مصر ، بأن يصفوا أهلها بالتوحش والغلظة ، وينعتوهم بأقبح النعوت وأبشع الصفات — وحبذا يوم يعتقد فيه شعوب أوربا وأمريكا أن المصريين لا يلبسون إلا جلود النمور والأسود ، ولا يعرفون من المساكن إلا الكهوف والأدغال ، وأن لهم قسياً قوية وسهاماً مسمومة ، وأنهم يقفون لأعدائهم تحت الصخور ووراء الجذوع ، فيسددون اليهم سهاماً مُصْمية لا ينجو أحد من جراحها ، وأن الذى يدخل بلادهم لا يلقى إلا مشقة ، ولا يرتاح فى حل ولا ترحال . وأن المصريين يأكلون لحم الحيوان بغير نضج ، فاذا لم يجدوا من لحوم الحيوان شيئاً أشبعوا الجوع بما يجدونه قريباً منهم من اللحم ، ولو كان آدمياً ؛ وأنهم حديدو الأسنان ، حُمْش السيقان ، خُزْر العيون ، قبيحو الخلقة . أقول هذا «ولا مؤاخذة» فان تلك الدعوة عندى آثر وأحب ، وأثرها فى ظنى أبلغ فى إجلال القوم لنا ومراعاتهم لحُرُمنا . فان الناس على حضارتهم لم يزيدوا بعد على أنهم متوحشون ، قد طلوا ظاهرهم بطلاء من الفضة أو الذهب ، وأما باطنهم فلا يزال فيه الحيوان البرى الذى يخشى القوة الوحشية خشية أعظم من تقديره لفضائل الفلسفة

وإنها لأهانة لا تعدلها إهانة أن يذهب نفر من أهل مصر ليعلنوا فى ملأ الشعوب الأخرى أن شعب مصر يلبس الملابس المعتادة ، لا جلود الحيوان ، وأنه يأكل الخبز والطعام ، لا لحوم البشر ولا المن والجراد . أما أنا فيمين الحق إنه لأحب الى أن يذهب الناس عنى قائلين إني متوحش ، أو إني جاهل ، أو إني غر ، أو إنني من أكلة لحوم الانسان ، من أن أكلف نفسى أن أبين لهم أنني لست كما يزعمون . لا بل إنني أحسب أنه لو ظن الناس فىّ مثل هذه الظنون لكان هذا مبعث فكاهة لنفسى أنعم بها وحدى وأنا أتأمل مقدار جهل هؤلاء الناس بى ، وضلالهم فى معرفة حقيقة أمرى

ولعل أهل الغرب إذا فشت فيهم عقيدة أننا من لابسى الجلود وآكلى اللحوم النيئة ، حملهم ذلك على بعض التحرز فى معاملاتنا ، وبعض الخشية من أنيابنا

ولا مؤاخذة ! . . .

محمد فريد أبو حديد

بوانكاريه وبارتو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فقدت فرنسا فى أسبوع واحد رجلين من أعظم رجالها ، وسياسيين من أقدر ساستها وكاتبين من أكبر كتابها ، هما مسيو لوى بارتو وزير خارجيتها ، ومسيو رايمون بوانكاريه رئيس جمهوريتها الأسبق ؛ فذهب مسيو بارتو ضحية بريئة فى حادث مرسيليا المروع الذى اغتيل فيه الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا ، وتبعه مسيو بوانكاريه الى القبر بعد أيام قلائل . وكان السياسى العظيم مريضاً منذ حين ، يستشفى فى الرڤييرا ، ولكنه عاد الى باريس منذ أشهر ممتعاً بالصحة والنشاط ، ثم توفى فجأة ، بينما كان يتابع الكتابة فى مذكراته ؛ فذهب بموته ركن من أعظم أركان السياسة الفرنسية المعاصرة . ولايشغل بوانكاريه وبارتو مكانتهما الممتازة فى عالم السياسة فقط ، ولكنهما يشغلان مكانتهما الممتازة فى عالم البيان والأدب أيضاً ، ولكل منهما آثار أدبية تتبوأ المقام الأول بين تراث الأدب الفرنسى المعاصر

كان رايمون بوانكاريه فرنسياً عظيماً من غلاة الوطنية الفرنسية التى تذهب الى حد التعصب ؛ وكان يمثل مدرسة سياسية خاصة شعارها القومية المغرقة فى كل شىء ، ووسيلتها القوة والتفوق المادى قبل كل شىء ؛ وكانت سياسته قبل الحرب وفى خلالها ، ثم من بعدها ، تمثل دائماً روح العسكرية المحافظة ، وروح الاستعمار الجشع ، فكان بوانكاريه من أعظم بناة العسكرية الفرنسية ، وكان من أعظم بناة الامبراطورية الفرنسية الاستعمارية . وكان مولده فى « بارلديك » من أعمال اللورين فى اغسطس سنة ١٨٦٠ ، ودرس الحقوق فى باريس ؛ وبدأ حياته العملية فى الصحافة ، فتولى حيناً تحرير القسم القضائى لجريدة « لى ڤولتير » ثم عين موظفاً فى وزارة الزراعة ، ولكن جو الوظائف الحكومية لم يرقه ، فاستقال لنحو عام من تعيينه ؛ وكانت أحداث السياسة تهزه وتستغرق اهتمامه ، فخاض المعركة الانتخابية ودخل البرلمان لأول مرة فى سنة ١٨٨٧ نائباً عن مقاطعة الموز . ومن ذلك الحين بدأ نجمه السياسى فى التألق ؛ وامتهن المحاماة فى باريس ، فظهر فيها بمقدرته وساحر بيانه ؛ وجدد انتخابه لمجلس النواب سنة ٨٩ ، ثم فى سنة ٩٣ . وفى هذا العام دخل الوزارة وزيراً للمعارف وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، ثم تولى وزارة المالية فى العام التالى ، ثم المعارف مرة أخرى سنة ٩٥ . واستمر فى مجلس النواب حتى سنة ١٩٠٣ ، ثم دخل مجلس الشيوخ . وتبوأ بوانكاريه مركزه فى الزعامة السياسية ؛ كما تبوأ مركزه فى الزعامة الأدبية ؛ وكان الى جانب مقدرته السياسية كاتباً ممتازاً ؛ يلفت الأنظار بروعة كتاباته السياسية والأدبية . وفى سنة ١٩٠٦ تولى وزارة المالية مرة أخرى . وفى سنة ١٩٠٩ توجت زعامته الأدبية بانتخابه عضواً فى الأكاديمية الفرنسية . وفى يناير سنة ١٩١٢ ألف بوانكاريه وزارته الأولى خلفاً لوزارة كايو المستقيلة ، وتولى الى جانب الرياسة وزارة الخارجية . وهنا بدرت بوادر الأزمات الدولية التى مهدت الى الحرب الكبرى ، فأبدى بوانكاريه خلال هذه العواصف قوة ومقدرة ، وظهرت قوة وسائله بالأخص فى مسألة مراكش حيث استطاع أن يرغم السلطان على الاعتراف بالحماية الفرنسية ، وظهرت ميول بوانكاريه العُسكرية واضحة فى عنايته بمسألة التسليحات ، ومضاعفة قوى فرنسا البحرية . وفى سنة ١٩١٣ انتخب بوانكاريه رئيساً للجمهور الفرنسية خلفاً للرئيس فاليير ؛ واستدعى أرستيد بريان لرياسة الوزارة . وكانت أوربا تسير يومئذ الى الأزمة الكبرى بخطى سريعة ؛ وكان بوانكاريه يسهر على ثمار سياسته ، وعلى المحالفات التى انتهت اليها . وفى يوليه سنة ١٩١٤ كان بوانكاريه الى جانب نيقولا الثانى قيصر روسيا فى بطرسبرج ؛ وكانت بواعث هذه الزيارة ظاهرة واضحة ، وهى تمكين التحالف الروسى الفرنسى ضد ألمانيا والنمسا والمجر ، وتنظيم الخطط للمعركة القادمة

ولما عاد بوانكاريه الى فرنسا كانت الأزمة قد وصلت ذروتها ولاح شبح الحرب جلياً فى الأفق . وكتب بوانكاريه بهذه المناسبة الى جورج الخامس ملك انجلترا خطاباً اشتهر بقوة منطقه وبيانه . ثم كانت الحرب ؛ فكان بوانكاريه رجل الموقف ؛ وأبدى خلال هذه الأعوام العصيبة كثيراً من الحزم والقوة والبراعة فى تدبير شؤون الحرب ومعالجة المشكلات الخطيرة التى كانت تثيرها ، واستطاع أن يقف البرلمان عند حده وأن يحمى الجيش من نفوذه ،

وأن يرد حملاته عن الحكومة ، وأن يقضى على التنافس الحزبى وآثاره السيئة فى سير الأمور . ولم يحجم فى سنة ١٩١٧ عن استدعاء خصمه القديم جورج كليمنصو الى تولى الحكم ، فكان موفقاً فى اختياره ، وكانت وزارة كليمنصو وزارة النصر النهائى

وهنا نقطة خطيرة يجب أن نشير إليها تلك هى موقف بوانكاريه الحقيقى إزاء الحرب الكبرى ومبلغ مسئوليته فى العمل لأثارتها . وقد أثارت مسئولية الحرب منذ عقد الصلح كثيراً من البحث والجدل ، وألقى عليها كثير من الضوء سواء من الوثائق الرسمية المختلفة التى نشرت ، أو تصريحات أقطاب السياسة الأوربية الذين اتصلوا بمقدماتها . وقد ظهر منها جميعاً أن رايمون بوانكاريه يحمل فى إثارة الحرب الكبرى أكبر التبعات وأنه كان من العاملين لها قبل نشوبها بأعوام ؛ وظهر بالأخص من الوثائق السياسية التى نشرها مسيو أزفولسكى سفير روسيا فى باريس قبيل الحرب ، أن بوانكاريه كان دائب العمل بالتفاهم مع القيصر على تنظيم الخطط لأذكاء الأزمة ، وأن زيارته للقيصر فى يوليه سنة ١٩١٤ لم تكن إلا لأحكام خطط العمل والدفاع فى الحرب المنشودة . وهذه نقطة خطيرة تثقل كاهل بوانكاريه بلا ريب ، ولم يوفق هو قط إلى دحضها رغم كل ما قال وكل ما كتب .

وانتهت رياسة بوانكاريه للجمهورية فى سنة ١٩٢٠ ، وخلفه مسيو دى شانل الذى لم تطل رياسته سوى أشهر ؛ وعاد إلى مجلس الشيوخ ، وإلى العمل فى المحاماة والصحافة ، وفى يناير سنة ١٩٢٢ ، ألف بوانكاريه وزارته الثانية ، وتولى وزارة الخارجية ، وكان الجدل يشتد يومئذ بين فرنسا وألمانيا حول تنفيذ شروط معاهدة الصلح وأداء التعويضات المفروضة على ألمانيا ؛ وكان بوانكاريه يرى منذ البداية أن تذل ألمانيا ، وتسحق حتى النهاية ، وكان من أشد خصوم الهدنة ووقف الحرب ، وكان يرى مع فوش أنه يجب مطاردة الجيش الألمانى حتى عاصمة بلاده ، وجعل الرين حداً لألمانيا ؛ فلما بدأت ألمانيا فى التذمر من شروط الصلح ، ومن أداء التعويضات ، رأى بوانكاريه الفرصة سانحة للعمل ، فقرر احتلال الروهر فى أوائل سنة ١٩٢٣ تنفيذاً للعقوبات التى نصت عليها المعاهدة فى حالة التخلف عن التنفيذ ، وكان

هذا الاجراء من أشنع الأخطاء التى ارتكبتها السياسة الفرنسية ؛ ولم يقف إلى جانب فرنسا فيه سوى بلجيكا ؛ وانتهى إلى عكس المقصود منه إذ أثار فى ألمانيا روح السخط والمقاومة ، وفقدت فرنسا من جرائه كثيراً من العطف ، وظهرت فيه بمظهر التحامل والتحرش ؛ وفقد بوانكاريه أيضاً كثيراً من ثقة مواطنيه وتقديرهم ؛ وظهر ذلك جلياً فى انتخابات سنة ١٩٢٤ حيث فاز فيها خصومه ومعارضوه واضطر إلى الاستقالة ؛ وتتابعت من بعده عدة وزارات ضعيفة كانت تسحقها الأزمة المالية وأزمة الفرنك بنوع خاص . ولما تفاقم خطب الفرنك وكادت فرنسا تنكب بكارثة مالية شنيعة دعى الرجل القوى (بوانكاريه) إلى الحكم مرة أخرى فى يوليه سنة ١٩٢٦ ، فلبى الدعوة ؛ واستطاعت وزارته بما اتخذت من التدابير السريعة القوية أن تجتنب الكارثة وأن ترد إلى الفرنك ثباته ، واستمر بوانكاريه فى الرياسة إلى سنة ١٩٢٩ ، ثم استقال لأسباب صحية ، وتفرغ إلى كتابة مذكراته التى بدأ باخراجها قبل ذلك بأعوام تحت عنوان « فى خدمة فرنسا » Au Service de France ، وفيها يبسط مراحل حياته السياسية ، وما اضطلع به من الأزمات السياسية قبل الحرب وفى أثنائها ، وما بذله من جهود لاحراز النصر . وكان بوانكاريه أثناء اعتزاله الحكم يكتب فى الصحف فصولاً سياسية قوية ، واشتهرت منها بالأخص سلسلة مقالات يكتبها تحت عنوان « الوعاء المتكسر » ، وفيها يندد دائماً بسياسة الضعف نحو ألمانيا ؛ وكما أن بوانكاريه كان يعرب فى سياسته عن عميق تعصبه القومى ، فكذلك تطبع كتاباته مثل هذه النزعة القومية العميقة ، وهو ينحو فى ذلك نحو مواطنه الكاتب اللوريني الأشهر موريس باريس الذى اشتهر بعنف حملاته على ألمانيا ، وتحريضه على سحق العنصر الجرمانى ؛ ولبوانكاريه آثار أدبية وتاريخية أخرى ، وله فى المحاماة مواقف مشهورة ، وقد وصل أثناء العمل بها إلى أرفع ما يطمح إليه محام ، وانتخب نقيباً للمحامين ، ورفع بذلك إلى صف أعلام الفصاحة القضائية ، كما رفع من قبل إلى ذروة المجد السياسى .

وقد لبثت السياسة الفرنسية مشربة بروح الأثرة والقومية

العميقة ، الذى حمل لاذكائه رجال مثل فوش وبوانكاريه وكليمنصو ؛ ثم تطورت منذ سنة ١٩٢٦ ، أى منذ اشتد ساعد الاشتراكيين والاشتراكيين الراديكاليين ، وقويت الدعوة إلى السلام والتضامن الدولى ، وتولى أرستيد بريان توجيه السياسة الخارجية الفرنسية ، ولاح مدى حين أن التفاهم ممكن بين أعداء الأمس ، وأن سلام العالم يمكن تحقيقه بالمواثيق والمعاهدات الصريحة ، ولكن بريان توفى بعد أن ازور نجمه ؛ ثم قامت الاشتراكية الوطنية فى ألمانيا ، وعادت موجة التطرف الهتلرى توجه النذر إلى فرنسا ؛ فعادت فرنسا إلى سياستها القومية المتطرفة ، وظهر بوانكاريه لمواطنيه مرة أخرى بأنه فى دعوته إلى هذه السياسة ، أبعد نظراً من الوجهة العملية ، من أولئك الذين ينشدون السلام بالتفاهم والحسنى .

***

وقد كان لوى بارتو من تلاميذ هذه المدرسة السياسية المغرقة فى القومية ، وكان مثل صديقه وزميله بوانكاريه يؤمن بسياسة القوة والتحالف العسكرى . وكان مولده فى بيارن من أعمال فرنسا الجنوبية سنة ١٨٦٢ ، ودرس الحقوق أيضاً ثم انتظم فى سلك المحاماة ، تلك المهنة الخلابة التى يتخرج فيها معظم الساسة الفرنسيين . ودخل بارتو مجلس النواب لأول مرة فى سنة ١٨٨٩ ، ولم يلبث أن ظهر بقوة منطقه وبيانه . ودخل الوزارة لأول مرة سنة ١٨٩٤ ، إلى جانب بوانكاريه وهو يومئذ فى الثانية والثلاثين من عمره . وكانت يومئذ بدعة أن يتولى الوزارة فتيان أحداث مثل بارتو وبوانكاريه . ولكن النبوغ المتفتح كان يسود كل اعتبار آخر ؛ واستمر بارتو بين النيابة والمحاماة ، مدى حين . وتولى الوزارة بعد ذلك مراراً ، فى وزارة الأشغال والداخلية . ثم تولى وزارة الحقانية منذ سنة ١٩٠٩ فى وزارة بريان ، واستمر فى هذا المنصب أربعة أعوام . وفى سنة ١٩١٣ استدعى بارتو لرئاسة الوزارة ، فاستمر مضطلعاً بأعبائها إلى ماقبيل الحرب الكبرى ؛ واستطاع فى هذه الفترة أن يحمل البرلمان على إصدار قانون الخدمة العسكرية الجديد الذى مدها إلى ثلاثة أعوام ؛ ثم تولى وزارة الأشغال مرة أخرى فى سنة ١٩١٧ ، ثم وزارة الحقانية فى وزارة بوانكاريه الثانية (سنة ١٩٢٤) . وعنى بارتو بدرس حركة النقابات وأصدر عنها كتاباً جامعاً بعنوان العمل النقابى L' action Syndical وظهر فى عالم الأدب ظهوراً قوياً ، واشتهر بروعة أسلوبه التحليلى ؛ وكتب تراجم نقدية بديعة لميرابو خطيب الثورة الفرنسية ولامارتين وغيرهما وهى من أقيم كتب الترجمة الفرنسية ، وكتب كتاباً عن غرام فكتور هوجو Les amours d'un Poeté وهو من أرق ما كتب عن هذا الشاعر ؛ وكتب رسالة عن فاجنر ؛ وكتب غير ذلك من الكتب والرسائل مما يضيق المقام بذكره ؛ وانتخب عضواً فى الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩٢٤ ؛ وكان محاضراً ومحدثاً ساحراً ، اشتهر بغزير ثقافته وقوة عارضته وتدفق بيانه .

ولما نشبت الحرب الكبرى دفع بارتو بابنه الوحيد إلى الصفوف المدافعة عن الوطن ، فقتل فى المعارك الأولى ، وأصاب فؤاد الوالد الكسير جرح لم يندمل قط .

وغادر بارتو مجلس النواب إلى مجلس الشيوخ فى سنة ١٩٢٢ واستمر يخوض المعركة السياسية ؛ ولكنه كان من فريق الساسة الهادئين الذين لا يظهرون كثيراً على مسرح المعارك الصاخبة . ثم تولى وزارة الخارجية منذ فبراير الماضى ، وكانت منذ سنة ١٩٢٧ وقفا على ارستيد بريان حتى توفى سنة ١٩٣٢ ؛ وتولاها من بعده بول بونكور . وكانت وفاة بريان نذيراً بتطور سياسة فرنسا الخارجية ، وعودها إلى الخضوع لروح الأثرة والوطنية المغرقة ؛ فلما تولاها بارتو كانت نظريات فوش وبوانكاريه قد غلبت فى توجيهها مرة أخرى ؛ وبارتو من أبناء هذه المدرسة كما قدمنا . وجاء عنف الحركة الهتلرية فى ألمانيا نذيراً جديداً لفرنسا بوجوب التحوط ومضاعفة الأهبات والمحالفات العسكرية . وقد أبدى بارتو فى تنفيذ هذه السياسة نشاطاً وبراعة فائقين فطاف بالبلاد المحالفة لفرنسا مثل بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا ليحكم أواصر التحالف بينها وبين فرنسا ، ولكى تحاط ألمانيا بسياج قوى من الأمم الخصيمة التى تقف وقت نشوب الحرب إلى جانب فرنسا . بيد أن أعظم ظفر استطاع بارتو أن يتوج به سياسته هو تقوية التفاهم الفرنسى الروسى واستئناف سياسة التحالف القديم بين روسيا

وفرنسا ، وإدخال روسيا فى حظيرة عصبة الأمم وحظيرة الدول الغربية بعد أن لبثت بعيدة عنها زهاء ستة عشر عاما . وكانت هذه أول مرحلة فى سياسة فرنسا الجديدة لتحقيق عزلة ألمانيا عن باقى الدول الأوربيـة ؛ وكانت المرحلة الثانية ، هى توثيق أواصر التحالف بين يوجوسلافيا وفرنسا ، ثم حمل يوجوسلافيا على التقرب من إيطاليا ، وأخيراً تحقيق التفاهم بين فرنسا وإيطاليا وتسوية المسائل المعلقة بينهما وحملها بذلك على نبذ سياسة التفاهم مع ألمانيا الهتلرية بصورة نهائية . وكانت زيارة الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا تحقيقاً لهذا البرنامج . ولكن وقعت فاجعة مرسيليا التى ذهب ضحيتها الملك اسكندر ومسيو بارتو ؛ ولقيت السياسة الفرنسية بذلك صدمة قوية . بيد أنها صدمة مؤقتة ، والظاهر أن فرنسا ستمضى فى تنفيذ برنامجها السياسى ، وأن مسيو لافال وزير الخارجية الجديد ، سيستأنف العمل حيث وقف مسيو بارتو ؛ وسيقوم مكانه بزيارة رومه ، كما كان مقرراً من قبل . ولكن الموقف ما يزال غامضاً ، ولا سيما إزاء ما يخشى وقوعه فى يوجوسلافيا عقب وفاة الملك اسكندر من الحوادث والتطورات الخطيرة

***

تلك سيرة الرجلين اللذين فقدتهما فرنسا فى أسبوع واحد . وقد فقدت فرنسا فى الأعوام الثلاثة الأخيرة جل أقطاب زعمائها القدماء ، مثل كليمنصو وفوش ودومير وبريان وبوانكاريه وبارتو ؛ وطويت بذهابهم مرحلة أو مراحل من تاريخ فرنسا المعاصر ، ولم يبق من أقطاب ساسة الجيل المنصرم سوى القلائل ، مثل تارديو الذى يمثل الكتلة القومية ، وهريو الذى يمثل السياسة الأشتراكية . ولا ريب أن فرنسا ستشعر بفداحة هذه الخسارة خصوصاً فى هذه الآونة العصيبة التى تقتضى كثيراً من العمل السياسى المستنير . بيد أن للسياسة الفرنسية تقاليد راسخة ، وسوف يبرز الى الميدان السياسى رهط من الساسة والزعماء الجدد ليملأوا ذلك الفراغ ، وليقودوا الجمهورية الثالثة الى نفس المثل والغايات التى عمل لها ساسة الجيل الراحل

محمد عبد الله عنان
المحامى

فى العيد الألفى لمولد الفردوسى

الشـــاهنامه

للدكتور عبد الوهاب عزام

ترجمة الكلمة التى ألقاها الأستاذ عزام بالفارسية على قبر الشاعر فى طوس

لست أريد أن أفصل الكلام فى الشاهنامه أو بعض مباحثها الكثيرة . فأدباء إيران الكرام أعرف بذلك وأقدر عليه ، ولكنى أريد أن أتقدم اليكم بكلمة موجزة تبين عن مكانة الشاهنامه فى آداب الأمم ولا سيما الأمم الشرقية :

قال بعض المؤلفين إن الشاهنامه إلياذة الشرق . وذلك التشبيه غير صحيح من بعض الوجوه ، فان الشاهنامه جديرة أن يكون لها بين أمم الشرق مكانة أرفع من مكانة الالياذة بين أمم الغرب . ذلكم بأن الالياذة قصة حروب وقعت فى معترك ضيق من آسيا الصغرى بين اليونان والطروادبين . وهى زهاء ثمانية آلاف بيت ، تستمر حوادثها ستة وخمسين يوماً . والشاهنامه تقص حادثات ميدانها ما بين الهند والصين إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل كل ما وعت الروايات من تاريخ الأمة الايرانية وأساطيرها من أقدم عصورها الى العهد الاسلامى ، ويشترك فى وقائعها التورانيون والعرب والروم والهند ، ولا تحرم الصين من نصيب فيها . فكل أمم آسيا العظيمة وبعض أمم أوربا يتناولها موضوع هذا الكتاب العظيم . فقد أوعى الكتاب من التاريخ والأساطير ما هو جدير بعناية المؤرخ الناقد ، مؤرخ السياسة أو مؤرخ الأدب والاجتماع

وصفت الشاهنامه نشوء الحضارة الايرانيـــة وتطورها ، وقصت تاريخ الايرانيين ملوكهم وأبطالهم وكبرائهم فى القرون المتطاولة ، وأبانت عما كان بينهم وبين الأمم المجاورة من عداء ومودة ، وحرب وسلم . وصفت الجلاد الهائل المستمر بين إيران وتوران ، ثم مثلت ما كان بين الأمتين من جوار ومودة فى القرابة بين ملوك إيران وتوران ، إذ جعلتهم جميعاً بنى أفريدون ، ثم وصلت هذه القرابة بمصاهرات عديدة : كتزوج سياوخسن بن كيكاوس جريرة بنت پيران أعظم قواد التورانيـين ، ثم فرنكيس بنت أفراسياب أعظم ملوك توران ، ومن سياوخسن وفرنكيس ولد كيخسرو حفيد كيكاوس وسبط أفراسياب . وكذلك نجد فى العصور التاريخية تزوج أنوشروان بنت الخاقان

وأما العرب فقد أجمل الكتاب فى أنبائهم ما كان بين الايرانيين والساميين من حوادث فى العصور المتطاولة ، فجمل الضحاك عربياً ، وقص وقائع كيكاوس وملك هاماوران (حمير) ووقائع أخرى بين الساسانيين والقبائل العربية . ثم ذكر طرفاً مما كان بين الأمتين من مودة وتعاون فيما كان من مصاهرة بينهما إذ تزوج بنو أفريدون الثلاثة سلم وتور وايرج ثلاث بنات لملك اليمن . وتزوج كيكاوس سوذابة بنت ملك حمير ، وتزوج زال بن سام رودابة بنت مهراب ملك كابل وهى عربية من نسل الضحاك ، فولد رستم بطل الأبطال من أب إيرانى وأم عربية . وأوضح من هذا ما كان بين الأمتين من مودة فى العهـــد الساسانى أعظم مظاهرها علاقة ملوك الحيرة بملوك الفرس ، وما كان للفرس من سلطان ومحبة بين العرب فى البحرين واليمن

والروم ذكروا فى أنباء الوقائع المتمادية التى كانت بين الساسانيين ودولة الروم الشرقية وفى قصة الاسكندر . ووصفت مودتهم فى قرابة ملوك الروم أبناء سلم بن أفريدون ، وفى تزوج گشتاسب بن لداسب من كتايون بنت ملك الروم ، وتزوج كسرى پرويز مريم بنت القيصر

والهند ذكروا فى حوادث منها وقائع كابلستان وحوادث بهرام گور وتزوجه بنت ملك الهند . والصين تذكر فى وقائع التورانيين وفى التجارة

فهذه المنظومة العجيبة التى تتناول حوادث قرون وأمم كثيرة لا ينبغى أن تشبَّه بالالياذة الضيقة الحدود ؛ وينبغى أن تكون عناية الشرقيين بها أعظم من عناية الغربيين بالالياذة

ولا ريب أن فى الشاهنامه أساطير كثيرة ، ولكن الأساطير فى الأدب أروع من الحقائق . ثم لا ينكر دلالة الأساطير على تطوّر الأمم وعلى كثير من عاداتها وأخلاقها . فان الأساطير وليدة خيال الأمة وأمانيها ، لا يحدها الواقع ولا تضيقها الحقيقة

وكم فى أساطير الشاهنامه فى العهدين الأول والثانى — عهدى البيشداديين والكيانيين — من حقائق دينية واجتماعية وتاريخية أُلبست ثوب الخيال ، وحرفت فيها الوقائع والأسماء

وللشاهنامه ميزة أخرى على الإليـاذة ، وملاحم أخرى كالمهابهاراته والرامايانا ، بأنها كلها لشاعر واحد ، اذا استثنينا ألف البيت التى نظمها الدقيقى . والفردوسى ناظمها شاعر تاريخى معروف لا يشك أحد فى وجوده ، وأنه ناظم هذه الملحمة الرائعة ، على حين يكثر خلاف المؤرخين فى الالياذة وناظمها ، وعلى حين أن المهابهاراتا والرامايانا نظم شعراء عديدين بعضهم مجهول

فالشاهنامه سجل تاريخ أمة وأساطيرها منذ أقدم عصورها ، وهذا لا يعرف فى منظومة أخرى

* * *

لم يكن الفردوسى مخترع هذه الحادثات بل كان مصورها ، فقد نظم الرجل ما ادخرته الروايات ، ولم يكن حرّاً فى الذهاب مع خياله كيف يشاء . ودليل هذا فى الكتب الأخرى ولاسيما كتاب الثعالبى « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » وهو أقرب الكتب الى الشاهنامه ، وقد عاصر الثعالبى الفردوسى وقدم كتابه للأمير نصر أخى السلطان محمود الغزنوى الذى قدمت اليه الشاهنامه



أبو القاسم الفردوسى لدى عودته من عند السلطان محمود الغزنوى

وهذا يزيد فى قيمة الكتاب ، ويجعله مرآة تاريخ الأمة وأفكارها ، لاصورة من خيال الشاعر وأوهامه . وهذا أيضاً يزيد فى قدر الفردوسى ، فعسير جداً أن يذلل الشاعر هذه الأكداس من الحوادث للنظم السلس المتين ، ويكلف نفسه السير فى حزنها وسهلها ، لايتخير الأيسر والأسهل من موضوعات النظم

لو كانت الشاهنامه قصصاً منثورة خالية من روعة الشعر وموسيقى النظم ، لكانت مع هذا جديرة بعناية الايرانيين والأمم الشرقية ، ثم عناية المؤرخين والباحثين فى الأمم كلها . فكيف وقد أفرغت هذه القصص فى صور شعرية رائعة ، ونظم متين منسجم ، يزيد المعنى جلالاً وروعة ؟ كيف وهى جهد شاعر

نابغة فى أكثر من ثلاثين عاماً ؟ لا تقتصر الشاهنامه على قصص الحادثات ، ولكنها تصور الوقائع حتى يكاد القارىء يرى الفرسان فى حومة الوغى ، ويبصر النقع معقوداً فى الآفاق ، ويسمع صليل السيوف ووقع الأسنة ، وصياح الأبطال وصهيل الخيل

وهذا الفردوسى وصاف الحروب لا يقصر فى تصور عواطف الانسان والابانة عنها على لسان أبطال قصته ، وهو ليس عاجزاً فى قصص الحب كما ترى فى قصة زال وروذابه ، وقصة بيژن ومنيژه ، وقصة گشتاسب وكتايون . وناهيك به رجل أخلاق لا يألو فى الدعاء الى الخير والنهى عن الشر . وهو بصير بأحداث الزمان يستخرج المواعظ من وقائع الكتاب ، فلا يكاد يفتتح فصلاً أو يختمه إلا واعظاً بليغاً محذراً من غِيَر الزمان

وإنى أستشهد هنا أستاذا من كبار المستشرقين درس الشاهنامه درساً بليغاً ، هو الأستاذ نلدكه الألمانى قال :

« إن الفردوسى شاعر مطبوع ، يستولى على فكر القارىء ، ويحيى القصة التافهة بانطاق الممثلين أمامنا ، بل كثيراً ما تضيع الحركات فى جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن إبانة عن حادثة لم يكتب عنها فى الأصل الذى نظم عنه أكثر من أنها وقعت ، ويبيح لنفسه أن يخلق حادثات صغيرة ليتم الوصف . وهو يعرف كيف يحيى أبطاله ، بل يخرج أحياناً البطل فى صورة جديدة غير التى عرفته بها الروايات ، وما أقدره على تبيان ماوراء أعمال الأبطال من أسباب وأفكار . والوصف النفسانى رائع جدا ، ونغمة البطولة تسمع فى الكتاب كله ، وعظمة الزمان القديم وأبهته ، وفرحه وترحه وجلاده ، مصورة فى أسلوب معجب ، حتى ليسمع الانسان صليل السيوف وجلبة المآدب . هو لا يبلغ فى التفصيل مبلغ هومير ، ولا يستطيع مثله أن يجمل حادثة فى كلمات قليلة ، ولكنه مع هذا يمضى قدماً الى غايته حين يصف الوقائع ، وإن يكن فى الخطب والرسائل مكثاراً

مشاهد الحرب تستقبل القارىء فى كل مكان ، ولكن هناك ميادين للحب والعواطف الرقيقة ، فهناك قصص للحب عظيمة كقصة زال وروذابه ، وبيژن ، ومنيژه . وهى أجمل أقسام الكتاب ، والشاعر فى هذا ، بل فى كتابه كله ، يملك القارىء ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقرابة واضحة فى الكتاب كذلك ، ولكن يصحبها التعطش للدماء ثأراً للأقارب ، فقصة الانتقام لسيا وخسن مثلاً تملأ صفحات من الكتاب كثيرة جداً ، وهذا الولع بالثأر يتمكن حتى نجد الرجل العاقل گو درز يشرب دم أطيب الأعداء پيران . . . .

ويتجلى فى الكتاب كذلك ندب حظوظ الانسان فى هذا العالم الحائل والاعتبار بغير الزمان » اه

هذه المزات الأدبية والتاريخية جعلت للشاهنامه مكانة علية فى الأدب الفارسى منذ نظمت ، فحاكاها كثير من الشعراء بقصص متصلة بموضوعها ، فنظمت ست قصص أبطالها من أسرة رستم وهى : گرشاسب نامه ، وبطلها گرشاسب جد أسرة سام ابن نريمان . وسام نامه ، وبطلها سام بن نريمان جد رستم . وجهانگير نامه ، وبطلها جهانگير بن رستم . وفرامرز نامه ، وبطلها فرامرز بن رستم . وبانو گشاسب نامه ، وبطلتها بانو گشاسب بنت رستم وامرأة گيو بن گودرز . وبرزو نامه ، وبطلها برزو بن سهراب بن رستم . ونظمت بهمن نامه ، وبطلها بهمن بن اسفنديار

ثم نظمت بعد قصص أخرى كتيمور نامه التى نظمها الهاتفى ، وشاهنامة القاسمى الكونابادى ، وشاهية مجد الدين البابرى النسائى . ولا تزال محاكاة الشاهنامه مستمرة حتى العصر الحاضر

وقد حاكاها الترك إن صح ما يروى أن شاعراً فى القرن العاشر الهجرى من بروسه اسمه الفردوسى الطويل نظم شاهنامه طويلة جداً فى ٣٨٠ جزءاً ، وأهداها للسلطان بايزيد الثانى ، فأمر بانتخاب ٨٠ جزءاً منها وإحراق الباقى ، فغضب الشاعر وهجا السلطان وهجر بلاد الروم الى خراسان حيث مات غماً

وأولع الناس بترجمة الشاهنامه الى لغاتهم ، فترجمت الى عشر لغات . وكانت اللغة العربية أولى اللغات بترجمة الشاهنامه ، لما بين الأدبين العربى والفارسى من التقارب . ولذلك كانت العربية أسبق اللغات الى إحراز هذه الترجمة . فقد أمر الملك المعظم بن الملك العادل الأيوبى الفتح بن على البندارى الأصفهانى أن يترجم الشاهنامه الى اللغة العربية ، فشرع يترجمها فى جمادى الأولى سنة ٦٢٠ ، وأتمها فى شوال سنة ٦٢١ . استطاع أن يترجم هذا الكتاب العظيم فى ثمانية عشر شهراً ، وهى همة عالية ومقدرة عظيمة من هذا الأديب الكبير . ونحن نعترف لاخواننا الايرانيين بفضل إنشاء الشاهنامه وفضل ترجمتها الى اللغة العربية

ترجم البندارى الكتاب نثراً بلغة سهلة غير متكلفة ، ونقل الحوادث مجردة من التفصيل والتصوير الشعرى ، فجاء الكتاب

فى نحو ١٨٥٠٠ سطر ، فى كل سطر نحو عشر كلمات . وذلك نحو نصف الشاهنامه

ومعظم تصرف المترجم يرجع الى ما يأتى :

١ — حذف بعض الفصول الصغيرة كفصل تجريب أفريدون أولاده فى قصة أفريدون ، وقتل رستم الفيل الأبيض وذهابه الى الجبل الأبيض فى قصة منوچهر ، ومقاتلة رستم وجنكس فى قصة كامدس الكاشانى ، ونصح زال ابنه رستماً فى قصة اسفنديار الخ

٢ — وحذف بعض الحوادث كما حذف ما وقع بين رستم والتركمان حينما ذهب لاحضار كيقباد من جبل ألبرز ، وحذف ذهاب امرأة گيو الى أبيها رستم حينما ذهب زوجها الى توران باحثاً عن كيخسرو

٣ — وحذف أكثر مقدمات الفصول التى يتكلم فيها الفردوسى عن نفسه أو يعظ ، كما حذف مقدمة قصة سهراب ورستم التى تكلم فيها الشاعر عن موت الشبان وحكمته ؛ ومقدمة قصة سياوخسن التى يتكلم فيها الفردوسى عن الشعر والكلام البليغ

٤ — اختصار الرسائل والخطب والوصايا المطولة ، واختصار الوصف فى الحروب وآلات الحرب ، ووصف الخيل والوحوش ، ووصف المآدب الخ

٥ — وحذف مدائح السلطان محمود ، وإثبات مدح الملك المعظم فى بعض مواضعها

٦ — ويزيد روايات من كتب التاريخ كالطبرى والمسعودى ، كما روى قصة ملك الحضر فى عهد سابور بن أردشير ، ونقل ما كان بين هرمز بن نرسى ورعيته

والمترجم فى هذا أمين لا ينقل كلمة من كتاب آخر إلا نبّه اليها الخ . الخ . وقد أصلحت بعض هذه العيوب على قدر الطاقة حينما نشرت الترجمة العربية

لم ينقل المترجم الى العربية جمال شعر الفردوسى ، ولكن نقل حوادث الشاهنامه مختصرة فيسّر لقارئ العربية الأحاطة بموضوع الكتاب فى وقت قصير . ولا بد أن يكمل نقص هذه الترجمة بترجمة منظومة للكتاب كله أو لفصول منه

ولهذه الترجمة العربية قيمة أخرى ، فقد ترجمت فى أوائل القرن السابع الهجرى قبل أن يكثر الاختلاف بين نسخ الشاهنامه . وليس عندنا نسخة من الكتاب ترجع الى ذلك القرن . فيمكن أن يستعان بهذه الترجمة فى المقارنة بين نسخ الشاهنامه المختلفة وترجيح بعضها على بعض

* * *

اهتمت الأمم الشرقية الاسلامية من بعد بترجمة الشاهنامه ، فترجمت الى التركية العثمانية ، والى التركية الشرقية ، وطبعت الترجمة الأخيرة فى طشقند سنة ١٣٢٦ . وترجمت الى اللغة الكجراتية وطبعت فى بمباى (١٨٩٧ — ١٩٠٤) ، وترجمت الى اللغة الأردية كذلك

وفى القرن التاسع عشر الميلادى عرف الأوربيون الشاهنامه واهتموا بها ، فترجمها مول الى الفرنسية وطبعت على نفقة الدولة فى نصف قرن بين سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٧٧ وطبع معها الأصل الفارسى فى ثمانية مجلدات ضخمة ، وهى أعظم طبعة للشاهنامه عرفت فى العالم كله

وترجم اتكنسون الى الانكليزية رستم وسهراب ، ثم الكتاب كله ترجمة مختصرة وطبعت فى لندن سنة ١٨٣٠ ، وترجم أرنولد سهراب ورستم أيضاً . ثم ترجم ورنر وأخوه الكتاب كله نظماً وطبع سنة ١٩٠٥ فما بعدها ، وكذلك ترجم رُجَرس معظم الكتاب وطبع فى لندن سنة ١٩٠٧

وترجم الكتاب الى الألمانية نظماً مرتين : ترجمة فون شاك وطبع فى برلين سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٥ ، ثم ترجمه رُكرت ، وطبع فى برلين من سنة ١٨٩٠ — سنة ١٨٩٥

ومن قبلهما ترجم جُرس خلاصة الكتاب الى موت رستم ، وطبعه فى برلين سنة ١٨٣٠

وأوفى ترجمة للشاهنامه الترجمة الايطالية ، ترجمها بزى نظماً ، وطبعها فى تورينو ١٨٨٦ — ١٨٨٨ فى ثمانية مجلدات

وطبع الأوربيون الشاهنامه الفارسية نفسها مراراً ، طبع الجزء الأول منها لمسدن فى كلكتا سنة ١٨١١ ، وطبعها كلها ترنر مكن فى كلكتا سنة ١٨٢٩ وهذه الطبعة أصل لطبعات أخرى . وطبعها مول فى باريس كما تقدم . وطبع ثلاثة أجزاء منها فون فولر فى ليدن بين سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٨٤

فهذا اهتمام الأوربيين بالشاهنامه وهم لا تربطهم بها وبقومها ما يربط الأمم الشرقية . وإنا لنرجو أن يزيد اهتمام الشرقيين بهذه المنظومة العظيمة حتى لا تخلو لغة من اللغات الشرقية من ترجمة كاملة منثورة ومنظومة

ولعل هذا الاحتفال العظيم بذكرى شاعرنا النابغة الخالد ،

يكون فاتحة نهضة فى الشرق توفى الشاهنامه حقها من العناية

وإن المندوبين المصريين ليسران ويفتخران بالمشاركة فى هذا المهرجان ، ويبلغان مشاركة الحكومة المصرية والأمة المصرية الاحتفــال بالفردوسى الشاعر العظيم الذى تربطه بهم وأدباء الفرس عامة روابط أدبية وتاريخية لاتمحى على كر الأيام

عبد الوهاب عزام

الخميس ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣
٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٤

٦ ـ الشخصـــــية

للأستاذ محمد عطية الابراشى
المفتش بوزارة المعارف

أنواع الشخصية

الشخصية نوعان : عملية وفكرية ، ولنتكلم عن كل منهما بالتفصيل فنقول :

(١) الشخصية العملية

كثيراً ما يُسأل الانسان : أيهما أفضل : الأمور النظرية أم العملية ؟ وبعبارة أخرى أيهما أفضل : الأفكار أم الأعمال ؟ وجوابنا على ذلك أننا لا نستطيع أن نفصل النظريات من العمليات ، فنحن فى حاجة إليهما معاً ، وكل منهما متوقف على الآخر ومكمل له ، لا ضده ونقيضه كما يظن البعض ، والأفكار أمهات الأعمال ، ومن الممكن اعتبارهما مظهرين لشيء واحد

وكما أن لكل أمر من الأمور ناحيتين : إحداهما نظرية والأخرى عملية ، كذلك نقول إن للشخصية ناحيتين : نظرية وعملية ؛ فالرجل مثـــلاً قد يكون موضع الاعجاب لأفكاره وأعماله ، ولو أن الأعمال فى النهاية نتيجة للأفكار ، ومع ذلك قد تغلب على الانســان إحدى الناحيتين : النظرية أو العملية تبعاً لميوله وعاداته ، فهذا قد يميل إلى الجهة العملية ، وذلك قد يميل إلى الناحية الأدراكية فتنمى فيه بطريقة التعود هذه الناحية أو تلك

ولا شك فى أن الشخصية العملية التى تظهر بالعمل والتنفيذ أكثر أثراً وظهوراً فى الحياة العملية من الشخصية الفلسفية البعيدة عن هذه الحياة ، والأولى كممثل يقوم بتمثيل دوره عملياً على المسرح أمام الناس ، والثانية كمن يقوم بتمثيل دوره فى الخفاء أو وراء الستار بعيداً عن الأنظار ، فأثر الأولى أكثر وضوحاً وظهوراً من أثر الثانية . وتتمثل الشخصية العملية فى المصلحين وقادة العمل والمستكشفين الذين ترى آثارهم فى أعمالهم التى قاموا بتحقيقها وتنفيذها خدمة للانسانية . وتتمثل الثانية فى الشعراء والفلاسفة والخياليين الذين يقومون بتصوير الأشـياء ووصفها ، فيسبحون تارة فى عالم الحقيقة ، وتارة فى عالم الخيال ؛ ولا ينكر فضلهم أحد ، ولكن أثرهم فى هذا العالم المادى أقل ظهوراً ؛ ففى اليوم الذى اجتاز فيه (بُليرِيُوت) القنال الانجليزى بطيارته كانت الأفكار كلها وأحاديث الفخر والاعجاب موجهة إليه ، لا إلى العالم الذى فكر فيها عدة سنوات حتى اخترعها

وإننا لانقصد بذلك أن نقلل من قيمة العلماء والمفكرين أو قادة الفكر ، ولكننا نقصد الاعتراف بأن تأثير رجال الأعمال أظهر من تأثير رجال الفكر ، وأننا نتأثر بالأعمال النبيلة أكثر من تأثرنا بالأفكار مهما كانت سديدة ، ولا ننكر أن الفكر والوجدان ينتهيان بالعمل

ومنذ زمن ليس بالبعيد كانت التربية تفكر فى العلم أكثر من العمل ، فكان الانسان إذا اختُبر سُئل عن « مقدار ما يعرفه » أما اليوم فقد تبدلت الحال وانعكس الأمر ؛ فأصبحت التربية تعنى كل العناية بالعمل والأعمال ، وأصبحت الأسئلة : « ماذا فعل الانسان ؟ وماذا يستطيع أن يفعل ؟ وما مقدار ما يفعل ؟ » ولم تكن الجامعات فيما مضى لتعنى بالجانب العملى من الحياة ، ولم تكن لتعمل على تربية رجال ليعملوا ؛ بل كانت عنايتها موجهة إلى تكوين رجال مثقفين حباً فى الثقافة ، معلمين حباً فى العلم ، ليكونوا كزينة لها أينما وجدوا فى الأسرة أو فى المجمع الدينى أو فى المجمع الأدبى . وكان الرجل الجامعى المثقف لا ينتظر منه أن يعمل شيئاً بيده ، فكان كأداة من أدوات الزينة ، وكان المجتمع يزدريه ويحتقره إذا حاول أن يعمل عملاً يدوياً . أما الأعمال اليدوية وأما الصناعات فكانت خاصة بالطبقة الفقيرة التى تُدعى

الطبقة العاملة . وكان يظن خطأ أن هذه الطبقة خلقت لتعمل ، أما الطبقة الأخرى فخلقت لتفكر

أما اليوم فقد أصبحت الفكرة السائدة أن التفكير غير مقصور على طبقة من الطبقات ، وأن العمل لا تختص به طائفة دون أخرى ، وصار التعليم عاماً بين الفقراء والأغنياء على السواء في الأمم المتمدينة ، لا يمتاز به هؤلاء على أولئك ، وجعل وسيلة لاعداد الجميع للقيام بواجبهم العلمي والعملي والأدبي في الحياة . وأصبحت الفرصة ، فرصة العمل سانحة أمام الجميع من غير ما تفريق . فالعلم الآن في هذا العالم المادي لا يصلح في نظر الماديين — وما أكثرهم — لأن يكون غاية مستقلة ، بل يجب أن يكون وسيلة للعمل . ولسنا في شك مطلقاً من أن العلم قوة ، لا ، بل أكبر قوة في يد الانسان . وهو قوة اليوم كما كان قوة بالأمس ، وسيكون قوة الى الأبد ، ولكننا في حاجة الى العلم الذي يؤدي الى العمل ، العلم الذي يمكن تنفيذه والانتفاع به عملياً بتحويله الى عمل ؛ فالعلم بلا عمل لا خير فيه ، مثله كمثل شجرة بغير ثمر . هذا هو المقياس الذي يقاس به العلم ، ويحكم به على العلوم اليوم . ولا عجب ؛ فبعد أن كان العلم يطلب للعلم ، حباً في العلم ذاته ، أصبحنا لا نفكر إلا في الماديات ، نسأل عن مقدار ما يمكن أن يستفاد به عملياً في الحياة من تعلم هذا العلم أو هذه المادة ، وأصبحت العلوم التي لا تؤدي إلى أكل الخبز ، أو الخبز والزبدة ، يُنظر اليها نظرة تشكك في الاقبال عليها . ويكثر الاقبال على العلم أو المهنة بقدر ما يمكن أن تدرّه من المال في أقصر وقت . هذا هو مقياس الاقبال على العلم الآن ، وهذا هو الرأي السائد بين الأكثرية من المربين والمتعلمين في الأمم المتمدينة . فالعالَم أصبح تجارياً ، والعلم كذلك أصبح ينظر اليه بنسبة ما يستطيع صاحبه أن يكتسبه بوساطته من وظيفة أو ثروة أو مركز أو نفوذ .. ويكاد هذا العصر المادي يقضي أو قضى بالفعل على العالم الروحي ، وعلى تعلم العلم حباً في العلم ، والاشتغال بالفن حباً في الفن . وإننا لا ننكر المادة ، ولا ننادي بكره المادة أو احتقارها ، ولكن يؤلمنا أن تسيطر المادة على كل شيء ، حتى على أفكارنا وتعليمنا . ولا ننكر أن النجاح هو الحياة ، وهو الفوز . وحبذا الأمر لو أمكننا أن ننجح النجاح المادي مع المحافظة على الروح العلمية الخالصة ، فنجمع بين عالم المادة وعالم الروح

فالحياة اليوم نزاع بين القديم والجديد ، بين عالم الروح وبين عالم المادة ، وهو نزاع لا نهاية له ، ولكنه ليس نزاعاً عدائياً ، بل هو نزاع ودي تكميلي لا غرض منه سوى النجاح في الحياة

ولكن ما النجاح الذي نبغيه ؟ وما الرقي الذي نريد الوصول اليه ؟ هو نجاح الشعب ورقيه ، روحياً ومادياً ، قوةً ونفوذاً ، علماً وعملاً ، مبدأ وإنسانية . ولكن هل يمكن الجمع بين الروح والمادة في آن واحد ؟ ولِمَ لا ؟ إن الانسان يستطيع أن يكون روحياً الى حد ما ، ومادياً الى حد ما ، بحيث لا تتغلب الروح على المادة ، ولا تسيطر المادة على الروح ؛ فيأخذ من كل منهما نصيبه ، ولا يعنى بناحية ويهمل الأخرى ؛ والنجاح هو الفوز بعد الجد والتعب ، التعب الجسمي والعقلي ، سواء أكان ذلك النجاح في التأليف أو في نسج القطن وغزله ، أو في بيعه وشرائه ، أو في صنع السيارات أو الطيارات ، أو في كتابة الروايات . . الخ

ومن الضروريات الأساسية للشخصية العملية العلم بالشيء الذي يراد القيام به ، والرغبة في النجاح فيه ، ولا فائدة في العلم والرغبة إذا لم يصحبا بقوة تنفيذية معنوية أو حسية ، داخلية أو خارجية تعمل على التنفيذ

فكما أن السيارة لا تستطيع السير إلا إذا كانت معدة للسير تمام الأعداد . وكان بها القدار الضروري من زيت الوقود ، وكان الطريق مُعَبَّداً صالحاً لسير السيارات ، كذلك الانسان لا يمكنه أن يقوم بعمل عظيم إلا إذا كان هناك علم به ، ورغبة شديدة فيه ، قوة دافعة تدفعه الى القيام به ، هي قوة الارادة والعزيمة الثابتة

وطالما صادف الانسان أشخاصاً لديهم الوسائل الضرورية للنجاح في العمل من علم وخبرة وذكاء وحسن تقدير ، ولكنهم فقدوا صفة واحدة من أهم الصفات الضرورية للنجاح ، تلك هي قوة العزيمة والتنفيذ ، فلم ينجحوا في أعمالهم ، لأنهم يميلون الى كثرة النقد والتحليل والتشكك في كل شيء حتى في أنفسهم فيمنعهم ذلك الشك من رؤية فائدة الشيء فيترددون في الاقدام ، ويرجعون الى الوراء ، فتضيع منهم فرصة النجاح ، والفرصة إن أتت مرة قد لا تعود مرة أخرى . فالعزيمة الصادقة تعد سراً عظيماً من أسرار الشخصية العملية والنجاح في العمل ...

محمد عطية الابراشي

من مشاهداتي في أوروبا

معجزات طبيب

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

يرى الداخل إلى مصحة تسابلابس حديقة جميلة زينت بالورود ونسقت بالزهور المختلفة الألوان . فاذا ما انتهى من الحديقة ودخل من الباب العام للمصحة ، وجد نفسه فى ردهة فسيحة ذات جناحين كبيرين أحدهما للرجال والآخر للنساء قد صفت فيهما الأرائك ، ونسقت أشجار الظل وأصص الأزهار المعروفة بالحدائق الشتوية Winter Gardens التى لا تنفك عينك تقع عليها أبداً فى بلاد النمسا الجميلة . ثم لا يلبث أن يرى أفواج المرضى يتدفقون عند ما يقترب موعد العلاج : وهو منظر يُذْعِر له من يراه لأول مرة ، ويكاد يذوب قلبه حسرة على أولئك المساكين وخاصة منهم المشلولين والمقعدين الذين يجرون فى العربات جر الأطفال الصغار لعدم قدرتهم على المشى والحركة . يأخذ كل مريض مكانه على تلك الأرائك . وفى يد كل تذكرة دخول ثمنها ثلاثة شلنات نمساوية أى نحو أحد عشر قرشاً مصرياً تبيح له الدخول مرة واحدة . وقبل ميعاد العلاج بعشر دقائق يفتح باب يوصل الى ردهة فسيحة ثانية توجد بها أرائك أخرى ومشاجب تعلق عليها الملابس ، وتقف سيدة تتسلم تذاكر الدخول وأخرى تأخذ بيد العميان الى أماكنهم . وهنا يخلع الجميع ملابسهم العليا ليصير النصف العلوى لجسم كل منهم عرياناً . فاذا دقت الساعة النصف بعد السابعة أو العاشرة صباحا ، أو الثانية بعد الظهر ، فتح باب حجرة العلاج على مصراعيه ، ووقف به ساحر جالزباخ يستقبل مرضاه ، وهو رجل مسن ، ولكنه بدين الجسم طويل القامة قوى الساعد مفتول العضل حاد النظر طويل اللحية أحمر الوجه دائم الابتسام ، يفيض البشر من عينيه الواسعتين البراقتين ، يحيى مرضاه بابتسامة ساحرة ، ويداعبهم بمختلف الدعابات ، ويقف بجواره نجله الدكتور فرتز الذى درس الطب فى ألمانيا ثم انقطع لمساعدة والده فى تلك المصحة العظيمة . أما حجرة العلاج فهى حجرة فسيحة مربعة طولها ١٢ متراً وارتفاعها ٧ أمتار ، غطيت جدرانها بطلاء بنفسجي اللون ، وأقيمت بجوار تلك الجدران عدة أفران كهربائية ذات أضواء مختلفة الألوان بعضها قوى جداً وبعضها ضعيف . فاذا دخل فوج المرضى تلك الحجرة تراصوا صفوفاً أمام آلة العلاج يتقدمهم الأطفال ويتلوهم المشلولون والعميان ويتبعهم باقى المرضى . أما الجدد فيجلسون على أرائك خلفية بعد أن يكونوا قد دونوا البيانات الخاصة بهم وبأمراضهم عند السكرتيرة التى تعرضها على الطبيب فيما بعد . تغلق أبواب الحجرة بعد ذلك فتصبح مظلمة إلا بصيصاً من نور ضئيل . ثم يبدأ الساحر بالعلاج : تسمع صوتاً يدوى فى أرجاء الحجرة كأنه الرعد القاصف يصم الآذان ، ويدخل الرعب فى القلوب ، فترتاع له أفئدة أولئك الذين كتب عليهم أن يلجوا هذه الحجرة لأول مرة ، ثم ترى شرراً كهربائياً بنفسجي اللون يتطاير من كرة معدنية كالبطيخة تتصل بأحد طرفى عصا يقبض عليها الساحر من الطرف الآخر ، ثم يمسك بعنق كل مريض ويمر تلك الكرة مرات سريعة بالقرب من عموده الفقرى من أعلى إلى أسفل ، ويضعها أحياناً على الجزء الذى يشكو منه ألماً ، ولا يستغرق ذلك كله أكثر من عشرين ثانية ، ثم يتركه إلى غيره وهكذا حتى ينتهى منهم جميعاً فى زمن لا يزيد على نصف ساعة ، فاذا خرج المريض من قبضة يده القوية ومن تحت تلك العصا السحرية مر فى أحد الأفران الكهربائية مروراً لا يستغرق بضع ثوان أيضاً بارشاد إحدى المرشدات هنالك

والحق أقول إننا لأول مرة سمعت أنا وصديقى ذلك الصوت المزعج ورأينا ذلك الشرر الكهربائى البنفسجى الذى علمنا عنه فيما بعد أنه نتيجة تيار كهربائى عالى الضغط جداً إذ يبلغ ٥٩٥ الف فولت ، أقول إننا عند ذلك ذعرنا وامتلأت قلوبنا رعبا ، وكاد صديقى يترك الحجرة ويعود أدراجه من شدة الخوف ، ولكنى تملكت قواى وشجعته ونبهته الى أولئك الأطفال والشيوخ الذين يتلقون ذلك الدش الكهربائى بلا خوف

ولا وجل ، واتضح لنا بعد التجربة أن فعل تلك الآلة فى الجسم أخف كثيراً من صوتها المرعب فى النفس حتى أن صاحبى بعد بضعة أيام أصبح لا يرهبها بل على العكس من ذلك كان يسعى ليكون فى المقدمة ؛ فكنت أذكره بقول الشاعر العربى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة مثل أن أتقدما

أما الكشف على المريض الجديد فلا يستغرق أكثر من دقيقة لأنه يسأله عن الداء وموضع شكواه ، ثم يضع فوق ذلك الموضع أنبوبة زجاجية يمر بها تيار كهربائى ذو ألوان مختلفة ، وكأنى به يتعرف بذلك موضع الداء تماماً . ويدخل المرضى لتكرار ذلك العلاج بالألكترواديوم ثلاث مرات يومياً . ثم إنه علاوة على ذلك العمل الأساسى يستعمل طرقاً أخرى فى العلاج ، فانه يأخذ بالمحقن من كل مريض كمية معينة من دمه فى حجرة خاصة ويضعها فى أنبوبة كتب عليها اسم المريض ، ثم يمر فيها تيارات كهربائيـة لتقوية الدم ، وفى اليوم التالى يعيدها بالمحقن إلى جسم المريض نفسه ، وكأنى به يتمثل بقول أبى نواس :

وداونى بالتى كانت هى الداء

وفى المصحة فوق ذلك حجرات أخرى لعـلاج بعض الأمراض الخاصة كالربو مثلاً حيث يستنشق المريض بعض غازات معينة فى أوقات تعين له . وهناك حجرة أخرى يدخلها المرضى بترتيب خاص حيث يحصر الجزء المريض من الجسم بين قرصين من المعدن تمر فيهما أشعة كهربائية قصيرة . وفى المصحة نحو ثلاثين موظفاً من رجال ونساء طبيبات وممرضات ، ولهم جميعا فى المصحة مسكنهم ومأكلهم ومشربهم .

ولقد تقابلنا مع الدكتور فرتز وتحادثنـا معه طويلاً باللغة الانجليزية فكان مثال التواضع والأدب الجم ، وعرفنا منه أنه تجرى عمليات فى المصحة بوساطة التيار الكهربائى ذى الضغط العالى ، وأنهم يعالجون الأمراض على اختـلاف أنواعها كالشلل والعمى والربو والسكر والسل الرئوى وعرق النسا الخ . ما عدا الحميات بأنواعها والصرع والجنون ، وعلمنا منه أيضاً أنه يبحث بحثاً جديداً فى استخدام الأشعة القصيرة فى العلاج ، وهو ينتظر فائدة كبيرة من وراء ذلك البحث . وأما والدهزيليس Zeileis نفسه فهو فى الخامسة والستين من عمره وهو أقوى من أى شاب تراه ، ويأمل أن يعيش مائة سنة أخرى بفعل الألكترواديوم ، وهو لم يتعلم فى المدرسة ليكون طبيباً ، وإنما كان إخصائياً فى النبات ، ولما غادر المدرسة هوى الكهرباء ، وأخـذ يدرسها ويجرب فعلها فى الأمراض حتى انتهى الى ذلك النجاح العظيم الذى صادفه باستخدام الضغط العالى الكهربائى ، وأخذ الشعب النمساوى والألمانى يقبل عليه وينتفع بعلمه وتجاربه حتى علا كعبه ، فأخذ الأطباء فى النمسا وألمانيا ومن ورائهم أطباء العالم يحملون عليه حملات شديدة وازدادت حملتهم عليه لما نبه ذكره وافتتح مصحته فى سنتى ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ فحاربوه بكل ما أوتوا من قوة واتهموه بأنه دجال وأنه عالة على الطب ، وحرضوا عليه الحكومة ، فقبضت عليـه وقدمته للمحاكمة ، فكان برغم ذلك رابط الجأش عظيم الثقة بنفسه وحصر دفاعه فى الكلمة القصيرة الآتية قال : « أولئك الأطباء الدبلمون كثيراً ما يخطئون ويكون فى خطئهم القتل لمرضاهم ، ذلك القتل الذى لا يقام له وزن . أما أنا فيجيئنى المريض بعد أن ييأس يأساً تاماً من شفائه على أيديهم فيبرأ من سقمه ويشفى من علته فيتركنى شاكراً مسروراً ، ولم يشك مريض واحد الى أحد بأن طريقتى أوقعت به أى أذى . فهل هذه الحملة إذن إلا حملة حقد وحسد ؟ » فكان فى ذلك الاقناع كل الاقناع للمحكمة فخرج منها منتصراً . ثم سار على نهجه فحاز ثقة الشعوب جميعاً . وفى نظرنا أن الخير كل الخير للأنسانية جمعاء ، ولهؤلاء الأطباء أن يتشجعوا وأن يضحوا بشىء من تعصبهم وغرورهم فى سبيل الصالح العام ، وأن يمدوا أيديهم إلى ساحر جالزباخ فيصافحوه معتذرين عما فرط منهم ، وفى يقيننا أنه لن يمتنع عندئذ عن أن يبيح لهم بسره الغامض وأن يطلعهم على أعماله وتجاربه ومخترعاته ، فتتكاتف الأيدى جميعاً وتتوافر على دراسة الأشـعة القصيرة والألكترواديوم . فيخطو العالم الخطوة الحاسمة نحو استخدامهما بدلا من المشرط ، ونحو إحلالها فى العلاج محل الأدوية والعقاقير وفى هذا ما فيه من خير ونفع

عبد الحميد فهمى مطر

بين فني التاريخ وفن الحرب

٥ – خالد بن الوليد *

في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

ويختلف الرواة في الحركة التي جرت ، فالأخبار التي يستند اليها الواقدي والبلاذري لا تبحث في غارة المرتدين على المدينة ، ولا تذكر موقع ذي حسى ، وتذكر أن أبا بكر لما علم أن القبائل اجتمعت في ذي القصة بقصد الغارة قرر أن يقاتلها في عقر دارها غير مبال بقلة عدده ، وقصده من ذلك إرهاب المرتدين والقاء الرعب في قلوب العرب ، وجعلهم يعتقدون أن المسلمين أقوياء وأن ذهاب جيش أسامة لم يقلل من قوتهم ، فتقدم أبو بكر على رأس المقدمة الراكبة نحو ذي القصة يعقبه الكوكب (القسم الأكبر)

وبالنظر الى رواية سيف أن الجمال بعد أن نفرت براكبيها ، ودخلت المدينة بات أبو بكر ليلته يتهيأ للهجوم ، فبعد أن رتب قوته خرج مبكراً من المدينة وباغت عدوه فهزمه شر هزيمة . والذي يلوح لنا أن الروايات الأولى هي الأصح . وكانت قوة المقدمة تبلغ مائة رجل ، وسارت يوما وعسكرت مساء بالقرب من أجمة ، فباغتها العدو من مكمنه وألجأها الى الفرار ، فاحتمى أبو بكر بالأجمة منتظراً ورود الكوكب (القسم الأكبر) ولما نادى أحد المسلمين بوروده انهزم المرتدون ، فطاردهم المسلمون الى ثنايا العوسجة ثم قفلوا راجعين الى ذي القصة

ويذكر الواقدي أن أبا بكر لم يخرج الى ذي القصة إلا بعد عودة جيش أسامة الى المدينة ، غير أننا لا نميل الى رأيه ، لأن مجرى الأخبار يدل على أن قوة المسلمين كانت ضعيفة لما خرجت من المدينة قاصدة العدو . وزعم سيف أن بني ذبيان وعبس بعد هزيمتهم هذه وثبوا على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين في كل قبيلة . وليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين . وكانت وقعة ذي القصة والبقعاء أول نصر للمسلمين على المرتدين ، ومنها تظهر فراسة أبي بكر وصلابة عوده

لابد أن القارئ انتبه الى فساد خطة القبائل في محاولتهم غزو المدينة ، إذ بدلاً من أن يجتمعوا في محل واحد للهجوم على المدينة أو أن يقاوموا جيش المسلمين معاً اجتمعت كل قبيلة في حيها ، فاجتمع بنو أسد في السميراء ، وفزارة في طيبة ، وجديلة وغوث من طيء في جبليهما ، وذبيان وعبس اجتمعت فرقة منهما بالقرب من الربذة والأخرى في ذي القصة أو البقعاء

والداعي الى تفرقهم على ما يظهر أن المياه في كل محل من تلك المحلات لم تكن كافية لأرواء جماعة كبيرة ، وكان الكلأ قليلاً فضلاً عن صعوبة اجتماع كلمة القبائل على غاية واحدة

وكان قبل ذلك حلف بين بني أسد وغطفان وطيء ، بيد أن قتالاً وقع بين غطفان وبني أسد من جهة وطيء من جهة أخرى فأمست القبائل متخاصمة . وكذلك كلمة طيء لم تكن مجتمعة فمال الى المرتدين فرقتان منها فقط ، وهما جديلة وغوث . أما الفرق الأخرى فبقيت على إسلامها . وكانت القبائل في قيامها على المدينة يراقب بعضها بعضاً ، ولا تريد أن تكون البادئة بالعداء ، ذلك ما جعل كلا منها يبقى في حيه ويراقب عمل الآخر

وقد اختبر الصديق حالة القبائل وتأكد أن كلمتها لم تجتمع ، لذلك لم يشأ أن يؤخر جيش أسامة عن سفره ، واكتفى برجال المدينة والموالين من القبائل القريبة منها وقد أيدت الوقائع رأيه . وبعد انتصار أبي بكر على القبائل في البقعاء قفل راجعاً الى المدينة ، ولما شاع خبر انتصار المسلمين على أهل الردة في أول قتالهم أخذت الصدقات تأتي من الأطراف بعد أن تردد أهلها في إرسالها ، فوردت صدقات عدي بن حاتم من طيء وصدقات أخرى

وبعد مدة قصيرة عاد جيش أسامة من الشمال ، فقرت به أعين المسلمين فلم يمهل أبو بكر المرتدين بعد أن بلغه أن بني عبس وذبيان

(*) وهو بحث فني قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

أوقعت بمن فيها من المسلمين ومثلت بهم ، وبعد وقعة ذى القصة أراد أن يفنى من فى الأبرق فأراح جيش أسامة بضعة أيام وخرج بالقوة التى سار بها الى ذى القصة بعد أن أنجدها بالناس من جيش أسامة وتوجه نحو الأبرق ، وفيه الفرقة الثانية من بنى عبس وذبيان وبنى كلاب وغيرهم

وقد ناشده كبار الصحابة بألاّ يعرض نفسه للخطر بقيادة الجيش بنفسه إلا أنه لم يجب طلبهم . فبعد أن عبأ جيشه باغت المرتدين فى الأبرق فهزمهم شر هزيمة وانسحبت فلولهم الى السميراء والتحقت ببنى أسد ، ولما رأى طليحة الخطر انسحب بجميع القوات التى التفت حوله الى بزاخة

وأقام أبو بكر فى الأبرق وكان يملكه بنو ذبيان ، فأعطى مراعيهم لخيل المسلمين وحرم بطون ذبيان منها

تولية خالد بن الوليد قيادة الجيش :

تدل الأخبار على أن خالداً اشترك فى قتال ذى القصة والأبرق مع المهاجرين ، ولما رجع أبو بكر الى المدينة انسحبت قوة المسلمين الى ذى القصة ، وتولى قيادتها خالد بن الوليد

وتذكر الروايات التى تبدأ بسيف بن عمر أن أبا بكر لما وصل الى المدينة جمع رجالاً من القبائل المجاورة للمدينة وأرسلها الى ذى القصة لتقوية جيش المسلمين . ثم عاد الى ذى القصة فاستعرض الجيش وقسمه الى إحدى عشرة فرقة ، وعين قائداً لكل منها فوجهها الى مناطق المرتدين فى جزيرة العرب لقتالهم والقضاء على حركة الردة

وهذه الرواية التى يرويها سيف يصعب تصديقها وذلك :

أولاً — لأن قوة المسلمين لم تكن فى عدد يكفى لتقسيمها الى إحدى عشرة فرقة

ثانياً — إن ايفاد فرق البحرين وعمان ومهرة وحضرموت واليمن قبل قمع الفتنة فى قلب جزيرة العرب مسئلة فيها نظر .

ويمر طريق البحرين وعمان ومهرة ببلاد بنى حنيفة ، وفيها مسيلمة ثائر ، وهو معتصم فى بلاده الوعرة . والحقيقة أن قوة جيش المسلمين لم تجاوز بضعة آلاف على ما ذكرناه فى بحث تقدير قوة الفريقين . فجيش أسامة لم يجاوز ستة آلاف ، أما القوة التى جهزها لمقاتلة من اجتمع فى ذى القصة فلم تتجاوز الألفين .

فتقسيم هذه القوات جميعاً الى أحد عشر قسماً مما يجعل كلا منها ضعيفاً بحيث لا يستطيع القيام بالواجب المنوط به . بينما الأخبار تؤيد أن جيش خالد بن الوليد وحده كان يبلغ أربعة آلاف رجل ، ثم إن هناك أخبارا تؤيد حبوط هجوم فرقة عكرمة بن أبى جهل ، وكذلك هجوم فرقة شرحبيل بن حسنة على قوات مسيلمة وانسحابهما الى الوراء والتحاقهما بفرقة خالد بن الوليد مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد أن أبا بكر فكر قبل كل شىء فى القضاء على حركة الردة فى وسط جزيرة العرب ، وجمع لذلك ما فى يده من القوات المتيسرة وناط قيادتها بخالد

قوة الجيش :

إن الرواة على عهدنا بهم لم يرووا لنا مقدار قوة المسلمين التى احتشدت بقيادة خالد بن الوليد فى ذى القصة . والمصدر الوحيد الذى يذكر لنا قوة خالد هو أبو حبيش ، إذ يروى لنا أنها كانت تبلغ أربعة آلاف مقاتل قبل حركته الى بزاخة

وكان الجيش على ما سبق بيانه مؤلفاً من القوة التى جمعها أبو بكر من القبائل المجاورة للمدينة على جناح السرعة للهجوم على المرتدين فى ذى القصة بعد تهديدهم للمدينة ، ومن القسم الذى التحق به من جيش أسامة بعد عودته الى المدينة قبل الهجوم على الأبرق . ومن الواضح أن البعض منه تخلف عن الالتحاق ليقضى مدة من الزمن بين أهله بعد أن غاب عنهم مدة شهرين فى سفره الى الشمال

والذى يظهر من رواية سيف أن أبا بكر لما عاد الى المدينة أرسل هذا القسم المتخلف أيضا الى ذى القصة ، وبعد التحاقه أصبح جيش خالد أربعة آلاف أو أكثر . وكانت قوة الانصار وحدها تبلغ زهاء خمسمائة مقاتل . أجل ، إن هذا العدد ضعيف بالنظر إلى المهمة الخطيرة المنوطة به ، إلا أن تجانس القوة فى هذا الجيش وصلابة المعتقد فيه ، وتفرق كلمة القبائل المرتدة جعلته أهلا للعمل

منطقة الحركات :

يحد المنطقة التى جرت فيها الحركات من الشرق ، الدهناء ، وهى الساحة الرملية الممتدة من الشمال الغربى الى الشرق الجنوبى فى شرق القصيم . وكانت الدهناء ولا تزال المفازة التى تفصل

أرض السواد (أعنى العراق) عن بلاد نجد. ويحدها من الشمال جبل شمر أعنى بلاد طيء المرتفعة التى تمتد جبالها على ما سبق من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى، وأخطرها جبلا سلمى فى الجنوب وأجأ فى الشمال، وفيها وديان كثيرة أجلها شأناً وادى حائل، وهو يبدأ من بزاخة طيء بشعاب متعددة، ويفصل الجبلين أحدهما عن الآخر حيث تنصب فيـه عدة شعاب من الشمال والجنوب وتغمره بالمياه فى موسم الأمطار. وقد شيدت على جانبيه القرى التى ترتوى بمياه الآبار المنصرفة اليها من الجبال. ولما كان جبل سلمى وجبل رمان يشرفان على وادى الرمة من الجهة الشمالية، فالشعاب التى تمر بالأطناف الجنوبية تنحدر جميعاً الى ذلك الوادى. وهذه الأطناف هى الحـدود الفاصلة بين حى بنى أسد وحى فزارة من بنى غطفان، وقريتا فيد وطابة لبنى طيء وهما على الحدود

ويحد منطقة الحركات من الغرب حرة خيبر، ومن الجنوب الهضبة المشرفة على وادى الرمة من الجنوب، وفيها بنو سليم فى الشمال وبنو عامر فى الجنوب. وموقعا العمق فى الغرب ورابية أبان الأبيض فى الشرق فى أرض بنى سليم

والوادى أرض منخفضة بين هضبتين مرتفعتين تنصرف اليه جميع المياه التى تنزل عليهما فى موسم الأمطار. وإذا حفرنا الآبار فى بطنه على عمق بضعة أقدام نعثر فيها على ماء كثير. والطريق التى تصل المدينة ببلاد القصيم تمر بهذا الوادى. وبعد أن يترك المدينة يمر بالبقعاء أو ذى القصة بالقرب من سابية، ثم بالشقرة فالربذة بالقرب من الحنـاكية فالشقق فبئر الطرفة، فالى جنوب أكمة الخيمة حيث يدخل أرض بنى أسـد، ويمر بعد ذلك بين الأبانين: أبان الأسود فى الشمال، وأبان الأبيض فى الجنوب. والأسود فى أرض بنى أسد الى أن يمر بشمال الرس وهو بئر ماء لبنى أسد، فيصل الى القريتين فى بلاد قصيم، أعنى المنيزة فى الجنوب وبريدة فى الشمال وكلتاهما فى حى بنى تميم

ويسكن بنو أسد فى الساحة الواسعة التى شمال الوادى من جنوبى فيد وأطابة غربى السميراء والظهران والسليلة.

وفى غربى النقرتين نقرة السـلاسل ونقرة الخطوط وجبل صارة. وفى أرض بنى أسد يقع موقع الغمر وهو رابية مرتفعة تشرف على وادى الغمر الذى ينبع من سفح جبل الموشم الشمالى ويصب فى الـكهفة. وبالقرب منه تقع بزاخة بنى أسـد. وهى الموقع الذى نشبت فيه المعركة بين جيش خالد وجيش طليحة.

والذى جعلنا نميل الى الاعتقاد بأن موقع بزاخة فى هذا المحل هو ماذكره ياقوت الحموى فى معجمه نقلاً عن ابن الـكلبى. أما الأصمعى فيروى أن بزاخة ماء لطيء. وفى جبل طيء موقع آخر يسمى بزاخة. وعلى ما يظهر لنا من مجرى الحركات أن القتال بين المسلمين وبين المرتدين لم يقع فى أرض طيء، بل وقع فى أرض بنى أسـد بالقرب من الغمر، ولا سيما أن خالداً بعد انتصاره على طليحة وجه سراياه فى جهات مختلفة مطارداً فلول المنهزمين. وهذه السرايا قاتلت المنهزمين فى جبل رمان وفى الأبانين. ولا يعقل أن المعركة نشبت فى بزاخة طيء والمطاردون يطاردون المنهزمين الى رمان والأبانين، بل من المعقول أن تنشب المعركة فى جوار الغمر فيشرد المنهزمون الى أنحاء مختلفة، فينهزم بنو فزارة الى حيهم فى جنوبى الرمان وغربيه، وبنو أسد الى الأبانين والى ظفر فى جوار كهفة والى النقرة — أعنى الى حدود الحى

وفى منتهى الشرق بلاد بنى تميم والقصيم على الحـدود بين بنى أسد وبنى تميم. وهى من أغنى البقاع الواقعة فى نجد، وتحدها رمال الدهناء من الشرق، وفى غربيها مراعى الحزن، وفى شرقيها مراعى الصمّـان، وكلتا البقعتين من أخصب المراعى وهما لبنى تميم. وبنو يربوع فى الحزن الى وادى حائل، والصمان الى بنى حنظلة، وماء الطريفة فى شمالى البريدة لهم أيضاً. والبطاح فى جنوبى الحزن وفيه قرية بريدة وموقع البعوضة والقمرة، وهو مشهور بجودة الـكلأ وفيه دارت الدائرة على مالك بن نويرة رئيس بنى يربوع

ولا تزال إحـدى ضواحى البريدة تسمى بالبطاح، والقصبة تتألف من أربع ضواح، وهى جردة وجديدة وشمال وبطاح.

وموقع النباج فى حى بنى تميم وهو المحل الذى وصلت اليه سجاح برجالها فقاتلها بنو تميم وكسروها، وهو واقع فى الحزن على طريق الـكوفة بعد الفيد

يتبع — طه الهاشمى

قصـــة لؤلؤة

للأديب حسين شوقي

ولدتُ في أعماق المحيط الهندي ، وكنت أقيم هادئة مطمئنة في مقصورتي الصدفية ، إلا أنني سئمتُ الحياة التي كنتُ أقضيها على نمط واحد ، واشتقتُ إلى مشاهدة العالم الآخر القائم فوق سطح الماء الذي طالما حدّثتنا عنه الأسماك في دهش وإعجاب ، ولكن أخواتي من اللؤلؤ أشرن عليّ بالصبر ، زاعمات أن الانسان سوف ينزل إلى الأعماق لينتزعني من خلوتي ، لأننا معشر اللؤلؤ — على زعمهن — ذوات قيمة نادرة عنده ، وقد صدقن في زعمهن ، إذ نزل إلينا ذات يوم زنجيّ ليأخذني من صدفتي ، إلا أن الحوت افترس المسكين ، ثم حاول زنجيّ آخر بعد ذلك بقليل أن يفعل فعلة سابقه ، ولكنه لم يدركني ، إذ كنت في عمق سحيق فمات مختنقاً . . بعد هذين الحادثين لم يبق لديّ شك في قيمتي عند الانسان ، وأنا خاملة الذكر في البحر ، لذلك ازداد شوقي إلى مشاهدة هذا العالم . . . ثم أتى زنجي ثالث مجدود استطاع أن يرفعني إلى سطح الماء ، وهذا سلّمني إلى رجل أبيض أخذ ينظر إليّ في شره بعد أن انتزع عني بسكينه الحاد صدفتي المسكينة !

وأراد زنجيّ رابع أن يسرقني من الرجل الأبيض ، ولكن الأبيض داهمه أثناء السرقة فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً مزّق جلده وأسال دمه . . يا لخيبة أملي لو كان هذا هو كل ما يشاهد في دنيا الانسان ! .

سافرت بعد ذلك إلى لندن على متن باخرة فخمة . . وهناك قامت فتاة حسناء بصقلي في دقة وأناة . . وبعد أن انتهت من عملها رفعتني بأصبعيها ، وأخذت تتأملني طويلاً ثم تنهّدت من الأعماق . فخشيتُ عليها أن تفعل فعلة الزنجيّ السارق ، لأن جلدها ناعم لا يتحمل السوط . أما أنا فكان بودي أن أتعلّق بجيدها البلوري أو أعلق بيدها الناعمة . .

ثم أخذني جوهري فعرضني في زجاج دكانه . . وكان المارة ينظرون إليّ في إعجاب وفضول ، وذلك ما أدخل على نفسي الزهو . . والواقع انني كنت جميلة حقاً بلوني الورديّ الذابل ، ولاسيما بعد عملية الصقل التي قامت بها تلك الفتاة الحسناء . وقد لاحظت أن أهالي لندن فضوليون إلى حد بعيد ، وقد يصحّ مثل هذا الفضول من جانبي أنا مثلاً إذ قضيت حياتي سجينة في صدفة .. أما من جانب الانجليز فهو أمر مستغرب ، وهم قوم رحّل أفّاقون . . وكان صاحبي الجوهري في الغالب يهودياً ، لأن أنفه كان مقوّساً ، ثم إنه كلما وضعني في يده المجعّدة ، ضغط على في قسوة وشره حتى كنتُ أخشى على نفسي الهلاك . وقد باعني ذات يوم إلى سيدة متقدمة في السن بربح وافر على ما أظن ، لأنه جعل يفرك يديه طويلاً عقب إتمام الصفقة ، وكانت نية هذه السيدة أن تصنع مني خاتماً . إلا أن ولدها وهو طفل «عفريت» في السابعة من عمره ابتلعني ظناً منه أني قطعة من الحلوى . فغُشي على السيدة من الحزن ، أكان ذلك من أجل ولدها أم من أجلي ؟ لا أعلم ، ولكني أرجح الثانية على الأخص بعد حادث الزنجيين اللذين ماتا في سبيلي . .

وقد تناول الطفل مسهّلاً قوياً أعادني إلى الحياة والنور . .

ثم انتقلت إلى أيد أخرى كلها مرتعشة مجعّدة . .

ربِّ ! كيف نُظِّمَ هذا الوجود ؟ كيف يكون الجاه والغنى عند العجائز والدميمات فقط ؟

ولكن من حسن حظي وقعت في النهاية في يد فتاة أمريكية حسناء مثرية جداً ، أعطيت لها في شكل خاتم قدّمه شاب خاطب ، وكانت الفتاة سعيدة بي . . فكم من رحلات شيقة قمنا بها — نحن الثلاثة — على متن طيارتها الخاصة ، إلا أنه اتضح للفتاة يوماً أن هذا الشاب يخونها ، وأنه لم يخطبها إلا طمعاً منه في ثروتها ، لذلك ثار ثائرها : فألقت بي في وجهه ، وكان ذلك أمام الباب الخارجي للدار الواسعة ، فتدحرجتُ حيث اختبأت في حفرة مظلمة بالحديقة أنتظر من ينقذني ، وأرجو أن يكون ذلك على يد فتاة جميلة .

حسين شوقي

تعليقات القراء على الرسالة

الى الأستاذ الرافعي

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي :

أعِرْني هذا القلم السحري الذي تكتب به . . . لأصف لك الشعور الذي خامرني وإخواني هنا ، حين قرأنا فصلك الأخير : قصة زواج . . . فما أدري والله كيف أصفه لك

وقد والله قرأناه مثنى وثلاث ورباع ، وقد والله قطعنا القراءة مرة وثانية وثالثة ، لأننا لم نكن نملك نفوسنا أن تفلت من قيود المادة ، وتنفذ من بين السطور الى عالم أسمى وأوسع ، تطير في أرجائه لتلحق بهذه البلاغة العلوية التي تسمو بتاليها وتسمو . . . حتى تدنو به من حدود العالم الكامل — عالم القرآن — وتريه تحقيق ما قاله فيها سعد « بطل المشرق » : كأنها تنزيل من التنزيل !

وقد والله خرجنا منها وكأننا لم نعرف عبد الملك أمير المؤمنين ، وسعيداً سيد التابعين ، إلا الساعة . . . فاذا أنت قد نقلت الملك والجلال من ذاك الى هذا ، واذا مقالة منك واحدة ، تغلب عبد الملك على جيوشه وأمواله وملكه ، ثم تجرده منها ، ثم تعرضه جسداً هزيلاً ؛ وتمنح سعيداً على فقره وتواضعه ، أسمى العظمة والهيبة والجلال . . . حتى يقول هذا : « أنا . . . . . . » فترددها ملائكة السماء . ويقول ذاك : « أنا » فتستحي أن تعيدها شياطين الجحيم !

وأقسم لقد سمعت هذه القصة وقرأتها ، وحفظتها ، وحدثت بها . وانحدرت بين أذني ورأسي ولساني عشرين مرة ، ثم كأني لم أسمع بها إلا الآن . . . وكأني كنت فيها في ليل مظلم ، فطلعت على مقالتك شمساً ساطعة ؛ عرفت معها كيف تكون خصيصات الليل لا لى النهار . . . فما بالك بمن لم يسمع باسم سعيد ؟ وما بالك بمن لا يعرف في الدنيا أدباً ، إلا الأدب الذي يسقط علينا من باريس أو لندن أو بونس ايرس ؛ ولا يدري من البلاغة إلا أنها التي تلوح بين سطورها رءوس البنادق ، وأفواه المدافع ، وأجنحة الطيارات ؟

ومثل أولئك كثير ، فقد عابوك بالغموض ، ورموك بالابهام ، وادعوا أن كتبك لا تفهم ، ومعانيك لا تساغ ، فلما ظهر أن في الغرب شاعراً خلا مذهبه الغموض يتخذه ويدعو له ويدافع عنه ، أصبح الغموض فناً من فنون الأدب تتمحل له الأسباب وتتلمس له الدواعي ! فما الذي جعل سيئة الرافعي حسنة بول ڤاليري ، إلا أن ذاك من فرنسا وهذا من مصر ؟

أما إن هذا الايمان بالغرب اذا انتقل من الشيوخ الى الشبان لم يكن إلا كفراً بالشرق وإلحاداً بالعقائد الشرقية ، وجهلاً باللغة الشرقية ، وخروجاً من الجلدة الشرقية . . . وإن عندنا في دمشق ندوة أرادت أن تعيب مجمعنا الأدبي ، فلم تجد أبلغ في العيب من قولها : إن المجمع ثقافته شرقية ، بل لقد (ضبطتنا متلبسين بالجريمة) ، وأشهدت علينا أننا كنا نحمل كتباً صفراء . وكان الذي نحمله « شرح المواقف للسيد » . ومثل هؤلاء لا يقرأون الأدب العربي إلا اذا صيغ هذه الصياغة

* * *

وعندنا أن هذه القصة بكل ما قرأنا في العربية من قصص ما يزال أكثر أصحابها ينشئون أدباً فرنسياً أو انجليزياً بحروف عربية

وعندنا أنك إذا استكثرت من هذا النوع غطيت على خيام أهل الجديد ودورهم المبنية من الطين والقش ، بقصر شامخ من الصخر يثبت ما ثبت الدهر

وعندنا أن مائة قصة من مثل هذه القصة ، تنشئ الأدب العربي إنشاء جديداً ، وتخرج من الشيخ الهم الفاني ، الذي ينتظر الموت شاباً قوياً بهياً ، جاء يستأنف الحياة بحنكة الشيخوخة . وتجعل من الأدب العربي أدبين : أدب أربعة عشر قرناً ، وأدب الرافعي

* * *

ولست والله أمدحك لأتملقك وأتزلف إليك ، وما بي بحمد

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

من شعر الشباب

لا تباهوا

للأستاذ فخري أبو السعود

مَنْ لِمُلْكٍ بات مهضوم الحمى ؟ وتراثٍ بات نهب الناهبين ؟
ولأرض نام عنها أهلها تاركيها بين أيدي الآخرين ؟
وتخلّى قادةٌ عن أمرها فاستوى المائنُ منهم والأمين
خيرُها يُخطئُ شعباً قانعاً ويصيب الدُّخلاءَ الطامعين
كلُّ من هبُّوا على الأرض سَعَوْا يبتغون الرِّفْدَ فيها والمَعين
كلهم من عسكرٍ أو عُزَّلٍ جُنْدُ إذلالٍ عليها يخطرون
أَمِنُوا فيها فكانوا حَرْبَهَا ومَشَوْا في ظلّها مستهزئين

***

مَنْ لشعب فَتَرَتْ همّتُهُ للذي يجري عليه مُستكين ؟
يتسامى كلُّ شعب للعلا وهْوَ يشقى في حماه ويهون
وأرى حريةَ القوم دنتْ مورداً لكنهم لا يَرِدُون
قيّدَ الحرصُ من الشعب الخُطى فهْوَ بالعيش وإنْ ذلّ ضنين
ولو اعتزّوا بعزم لَعَنَا لاعتزامِ الشعب كيدُ الكائدين
ولدانتْ لَهُمُ آمالُهُمْ إنما الآمالُ بالعزم تدين

***

لا يطُلْ منّا بفضلٍ أحدٌ لا يعزُّ الفردُ والجمعُ مَهين
لا تسامَوْا درجاتٍ بينكُمْ كلُّكُمْ للغاصب العادي قطين
لا تباهَوْا بمغانٍ رُفعتْ هِيَ للسُّكْنِ قبورٌ وسجون
أو بألقابٍ عُلاً زائفةٍ تتغالَوْنَ بها مُفتتنين
أو بأثوابٍ عليكمْ نُمِّقتْ أنتمُ أَسْرَى بها لو تعلمون
حيثما راح ابنُ مصرٍ أو غدا فهْوَ في الأسْرِ وفي القيد رهين
حَرِّرُوا أعناقكُم ثم افخروا بحطامٍ أو بجاهٍ تملكُون
ما ارتقاءٌ ندّعيه بيننا ونهوضٌ وعلومٌ وفنون
يا لَشَعْبٍ باتَ عن حُرِّيّةٍ غافلاً يُلهيه سفسافُ الشؤون

***

تَنْدبُ الحاضرَ نفسي وترى فيه وجهَ الغدِ مُرْبَدَّ الدجون
عَصَفَ العصرُ اصطخاباً حولنا وتفانَى آلُهُ مشتجرين
وعلينا آلَ مصرٍ حُجُبٌ من بقيّاتِ الليالي والقرون
ليت شعري — إذْ تعالَى بينهم صيحةٌ في كل يوم ورنين —
أأفاق القومُ من نَوْمِهِمُ ؟ أم مَشَوْا في نومهم مختبطين ؟
نحن نحيا في خيال ورؤًى نحن في كهفٍ عن الدنيا كَنين
نحن — والدنيا اجتهادٌ ووغًى — نهب لذّاتٍ ولهوٍ ومجون
صاحَ بعضٌ بهُرَاء واحْتَمَى بعضُنا بالصمت عجزاً والسكون
كَثُرَ القولُ وما أغنى الحمى عن دعاوي اللاغطين القاعدين
إنما يَطْلُبُ مِنْ أبنائه عملاً يَنْسَخُ قولَ القائلين

فخري أبو السعود

الله رذيلة التملق والتزلف ، وإني لأنقم منك أحياناً . إنك تبالغ في الدقة ، وتمعن في السبك الفني لمعانيك وألفاظك ، حتى ما أكاد أفهم عنك ، وإننا لنحفظ جملك هذه الغامضة ، ونتنادر بها ، على حين أنك تعرف من نفسك القدرة على أسهل الكلام وأوضحه ، وإن شعرك لين سائغ عذب كالماء

ولكني أمدحك ، وما أجدني صنعت شيئاً ، لأنك في نفسي أكبر من ذاك ، إنك واحد من عشرة هم كتاب العربية في كل عصورها ، إنك لسان القرآن الناطق

فاقبل تحياتي وإكباري وشكري ، وأسألك أن تزيدنا من هذا النوع من الأدب ، وأن تستكثر من هذه الفصول الاجتماعية ، وأن تعلم أن مقالاتك في الزواج كان لها من الأثر ما لا يكون لقانون صارم من ورائه السجن والغرامة . وإننا نحمد الله على أن جعل في العربية مجلة صاحبها الزيات ، ويكتب فيها الرافعي

علي الطنطاوي

عضو المجمع الادبي بدمشق

الحياة الغالية

للأديب سيد قطب

بالأمسِ كنتُ أعيش نِضْوَ تَرَقُّبٍ ... أُزْجِى حَيَاتِىَ كالأجيرِ المتعَبِ
أرنو إلى الإصباحِ ، ثم تمجُّه ... نفسى ، وأنظرُ كارهاً للمغرب
وأحسُّ بالقفرِ الجديبِ يلفُّنى ... فأعيشُ فى ظُلَمٍ كقبرِ الغيهبِ
وَلَوَ أنَّما اختصرتْ حياتِىَ لم أكنْ ... أدرى بما نقصتْ ، ولم أتعتَّبِ
وإذا تشابهتِ الحياةُ وأقفرتْ ... كُرِهت ، فلم يُشعَرْ بها أو تُطْلَبِ

* * *

واليومَ آسَفُ للدقائقِ تنطوى ... من عمرىَ الغالِى الثمينِ الطيِّبِ
واليوم أرقبُها وأرقبُ خطْوَها ... فأعيشُها مِثْلَينِ بعد ترقُّبِ (١)
وهىَ العميقةُ كالخلودِ وإنما ... تَمْضِى حثيثاً فى خُطا المتوثِّبِ
وأودُّ أنْ لو أبطأتْ وتلبَّثَتْ ... فى خَطْوِها الْبُثَّ الوئيدَ المُكْثِبِ (٢)

(١) ترقب الدقائق قبل حلولها ثم حياتها عند مجيئها يجعل الحى كأنما عاشها مرتين . (٢) المكثب : المقرب ، والبطىء الخطا القريب منك يمكنك من إنعام النظر فيه .

تغلو الدقائقُ فى حياةٍ خصبةٍ ... وتهون أعوامٌ بعمرٍ مُجدبِ !

* * *

الحبُّ فاضَ على الحياةِ بخصبه ... وأجدَّ عُمراناً بكل مُخرَّبِ
وأزاحَ أستارَ الدُّجى فتكشَّفَتْ ... ظلماتُه عن كل زاهٍ مُعجبِ
وكذاكَ تحلُو لى الحياةُ وتجتلى ... وتعزُّ ساعاتُ الغرامِ المخصبِ

يا ثغرُ . . .

أتأذن يا ثغر فى قبلة ؟ ... فديتك يا ثغر بالمهجتينْ
فدتك البحار بمرجانها ... وعوذت دركَ من كل عين
أريدك يا ثغر بشّاً ضحوكا ... ولو كان فيك خداع ومَيْن ،
فانك مغرٍ وحق الجمال ... تغر بفتنتك الحسنين (١)
فبالورد قد لُفَّت الشفتان ... فأصبحتا فيك ريّانتين
فبالله تأذن فى قبلة ... وان كنت سمحاً ففى قبلتين
فكل نعيم بهذى الحياة ... يُنال على تَيْنِكَ الشفتين

حسين شوقى

(١) الحسنان هما الزاهدان الحسن البصرى والحسن بن سيرين .

العُلوم

فكرة النظام الشمسى الحديثة

تغلب النظام الكوبرنيكى على النظام البطليموسى

بقــلم فرح رفيدى

من البدهيات التى لا تستلزم حيرة الانسان كثيراً هى أنا نرى الشمس تدور لأن الأرض تدور ، ولولا ذلك لنا كان ليل ونهار ، ولكانت الأرض أبداً نصفين ثابتين ، نصفاً مظلماً قاتماً ، ونصفاً مستنيراً أبداً بشمس ثابتة

وهذا الذى قد نعتبره أمراً بدهياً اليوم ، كان بالأمس سبب الشقاق وموضوع الحوار ، وقبلة أنظار الباحثين من الفلكيين وغير الفلكيين . ومنذ مئة وخمسين سنة فقط كان الحوار قائماً على منبر جامعة هارڤرد بأمريكا فيما إذا كانت الأرض تدور أو لا تدور ، وكان من برنامج الجامعة نفسها أن تدرّس الفكرتين المتناقضتين فى وقت واحد . وقبلها بوقت قصير كانت جامعة باريس تؤيد الفكرة القائلة بأن حركة الأرض حول الشمس فكرة مناسبة إلا أنها خاطئة . فحداثة هذه الفكرة تدل على أن الفكرة اليونانية عن نظامنا الكونى لم تزُل من قلوب الناس باعلان كوبرنيكس لفكرته الجديدة ، بل ظلت الفكرتان تتحاربان فى عقول الناس الى أن تغلبت إحداهما على الأخرى . وكان الانتصار الذى أحرزته الفكرة الجديدة انتصاراً نهائياً للحقيقة ، وموتاً أبدياً للفكرة الباطلة التى شغلت عقول الناس بتناقضها وكثرة تعقدها

قبل أن يبزغ نور الفكرة الحديثة بألفى سنة كان فيثاغورس اليونانى يعتقد بحركتى الأرض اليومية والسنوية ، غير أن هذا الاعتقاد قد قضى عليه أرسطو ، ورفضته الكنيسة لمنافاته للدين المسيحى فى العصور الوسطى ، فمات قبل أن ينشر أو ينتفع به أحد ، والكنيسة لم تقف عند حد رفض الفكرة وتحريم الاعتقاد بها ، بل تعدته الى تضحية كل نفس جاهرت بمعتقدها الحر ، فأحرقت جيوردانو برونو Giordano Bruno سنة ١٦٠٠ لاعتقاده بعوالم عديدة فى الكون غير عالمنا ، وقاسى غاليليو ألواناً من العذاب لتأييده ما أقره كوبرنيكس . وكوبرنيكس نفسه كان محجماً طول مدة حياته عن أن يجاهر بعقيدته خوفاً من الكنيسة ومن أن يُهزأ بفكرته ، ولم يُنشر كتابه عن النظام الشمسى (De Revolutionibus Orbium Coelestinm) إلا بعد أن مات

أول شىء جعل كوبرنيكس يطرح النظام البطليموسى جانباً ويجاهر بنظامه الحديث هو صعوبة الأول وتعقده ، وعدم مطابقة الحجج الكثيرة للظواهر المشاهدة فى الكون ، وذلك ما يُفقده ميزة الجمال والبساطة الطبيعية . وليس بالأمر الغريب الذى جعل الفونس العاشر ملك قشتالة يقول لما رأى النظام اليونانى كما شُرح له . « لو استشارنى الله يوم خلق هذا العالم لكان الكون أبسط وأجمل مما هو عليه الآن » . وقد أصاب شيشرون الرومانى فى وصفه الكواكب بأنها لم تكن سهلة التعبير ، إذ هى تارة متأخرة ، وتارة متقدمة بين النجوم . وقد نراها فى بعض الأوقات سريعة ، وفى غيرها بطيئة ، وأحياناً فى المساء وأخرى فى الصباح ، فهى لا تبقى على حال واحدة أبداً . واليونان أنفسهم أقروا بفظاعة أفكارهم وعُسر تمليلاتهم ، ولم يقدروا أن يتصوروا كوناً طبعياً من صنع الإله الأكبر وفيه هذه المتناقضات والصعوبات الجمة التى شاهدوها فى حركات الكواكب السيارة . فكان عندهم الكون ظاهره وباطنه وما فيه من أجرام مختلفة الحجم متباينة الضوء مثالاً للتكامل والتلاؤم . فشكل الكون كان كروياً كشكل أجرامه التى تُحدث بدورانها دوائر مستقيمة متعادلة . ولأن الدائرة كانت أتمّ الأشكال الهندسية تلاؤماً ، والكون متلائم ومُتسق مثلها ، كانت صفة تابعة لحركات النجوم ومداراتها . على أن محاولتهم هذه من تفسير الكون كنظام يسير لتطبيق قواعد هندسية سطحية ، لا كنظام خاضع لنواميس طبعية أصلية ، أفسدت عليهم الأمر

وكانت سبباً فى تعقيد الفكرة وإخراجها بصورة يصعب على العقل تصورها أو إدراكها . فكانت النتيجة أن قام كوبرنيكس بفرض نظرية أسهل على الفهم وأقرب للمنطق من الفكرة القديمة . فجعل فكرته سهلة التعبير، بسيطة خالية من الدوائر أو شبه الدوائر الموجودة فى النظام البطليموسى

فى سنة ١٥٠٧ آمن كوبرنيكس بدوران الأرض حول الشمس ، وكاد يذيع ذلك لولا خوفه من أن يُتهم بالهرطقة والكفر . وذلك لأن الكنيسة حينئذ كانت تدّعى أن الانسان ملدام أعظم المخلوقات فى الكون ، وغاية ما أبدع الله على صورته ، وأن كل مخلوق ملعداه وُجد له وله وحده ، ومادامت الأرض هى موضع ذلك المخلوق العظيم ومكان الجبلة الممتازة المنفوخ فيها من روح الإلـه ، فهى بلا شك مركز الكون ، ومحور دورانه ، ومركز انعكاس أضوائه من مختلف الجهات حولها . وإن من أخذته أدنى ريبة فى ذلك فقد أهان الانسان وحط من مقامه الرفيع بين المخلوقات ونال من كرامة الإلـه وقوته وجبروته ، لأنه هو والانسان صورة واحدة

رأى كوبرنيكس أنه إذا كانت الأرض ثابتة فان كل شيء ما عداها يتحرك . أى أن الكون من كواكبه السيارة وغير السيارة فى حركة دائمة حول نقطة ثابتة فى مركزه ، ونقيض ذلك هو دورة الأرض وثبات ما حولها ، وإذا قابلنا بين الفرضين وجدنا أن الظواهر الناتجة من الثانى هى كالنتائج الظاهرة من الأول ، بل إن الفكرة الثانية ، أى دورة الأرض ، أسهل للعقل وأخف على الفكر من الفكرة الأولى . لذلك افترض كوبرنيكس دورة الأرض كشيء أقرب للحقيقة وأصدق للتعبير عن مظاهر الكون من فرض ثباتها ودورة الكون حولها . وقد رأى مما يبرر اعتقاده بدورة الأرض ، أن للكواكب السيارة شذوذاً فى حركاتها ، وأن اختلاف هذه الحركات يبيّن أن الكواكب تدور حول مركز غير الأرض . فبما أنها تظهر تارة قريبة وتارة بعيدة عن الأرض ، فان الأرض ليست مركزاً لدوائر حركاتها

أكد لبطليموس ثبات الأرض اعتقادُه أن الدوران يهدمها ويفتتها فتتناثر فى الفضاء قطعاً . فهاجم كوبرنيكس هذا بقوله : إن دورة الكون السريعة حول الأرض يجب بناء على ذلك أن تفتت الكون كله فى الفضاء ، ولو سلمنا بدورة الكون بدون تفتيت ، أليس من نتيجته أن يتسع الكون ويتمادى فى الاتساع حتى تبتعد أجزاؤه عن مركزه ؟ وهذا الابتعاد عن المركز يزيد بسرعة الكون وقوة دورانه ؟ وذلك لاتساع حلقته ولزوم دورتها فى مدة أربع وعشرين ساعة ؟ ثم إن قوة الدوران تدفع بأجزائه أكثر عن المركز فيتسع وتزيد بذلك سرعته التى تعود فتزيد بتوسيعه وهكذا إلى ما شاء الله . وعلى ذلك تصبح السرعة متناهية ويمتد الكون إلى ما لا نهاية له ؛ فاذا كان كذلك غير محدود الأطراف فالحركة ليست من صفاته لعدم وجود متسع فى الفضاء لأتمامها ، ثم لو كان الكون محدوداً ومتحركاً فماذا يكون وراء الجَليد ؟ فاذا كان لا شيء فهل يمكن أن يكون شيء

محاطاً بلا شىء ؟ هكذا احتار كوبرنيكس فى أن يعتقد بكون محدود متحرك ، أو بكون متحرك غير محدود . والتناقض جلى بين الفكرتين . لم يدر كوبرنيكس ما إذا كان الكون محدوداً أم غير محدود ، ولكنه كان متأكداً من حد الأرض وإحاطتها بسطح كروى ، وقد عرف أن الاعتقاد بحركة شىء محدود أسهل من الاعتقاد بشىء متناه غير معروف الحدود . فالأرض إذن حقيقة تدور ، ونتيجة هذه الدورة فى هذه الحركة الظاهرية فى السماء التى نشاهدها ليل نهار .

قبل أواخر القرن السادس عشر سمع بالفكرة الجديدة « ثيخو ميراهى » ، ولاشتياقه لمعرفة صحتها اعتزم عمل زيج جديد دقيق لحركات الكواكب ، فبنى مرصداً ذاقبة متحركة ، وعمل ربعاً قطره ١٩ قدماً ، وكرة تمثل الكون قطرها خمسة أقدام ، فحصل بذلك على أرصاد دقيقة جداً . على أنه لم يتم ما أراد تحقيقه إذ مات فى سنة ١٦٠١.

أتى بعـــد ميراهى رجل ألمانى اسمه يوهنس كبلر ، وكان هذا بعكس ثيخو تنقصه الموهبة الميكانيكية . ولكنه كان ذا مقدرة كبيرة فى الاستنتاج والتمييز بين حالة وأخرى ، وجمع الحقائق بعضها الى بعض لتكون نتيجة حقيقية واحدة . فما كان منه إلا أن أخذ نتائج أرصاد ثيخو فى الكواكب ، وصار يتأملها ويبحث فيها ويقابلها مع بعضها ، حتى توصل الى ثلاث حقائق أساسية فى بناء فكرة الكون الحديثة :

الأولى : توصل اليها كنتيجة لسبعة ارصاد للمريخ فى موضع واحد ، وهى أن الأرض تدور حول الشمس ، ليس بشكل دائرة كما اعتقد اليونان ، بل بشكل منحرف قليلاً عن الدائرة يسمى قطعاً ناقصاً (cllipse) ، والشمس تقع فى احـــدى بؤرتيه (foeus)

الثانية : المستقيم الذى يصل الأرض بالشمس يقطع فى الفضاء مساحات متساوية فى أوقات متساوية.

الثالثة : نسبة مربع زمن دورتين لكوكبين هى كنسبة مكعب المسافتين من الشمس . أى إذا كانت مسافة الكوكب الأول من الشمس $م_1$ ومسافة الكوكب الثانى $م_2$ ، وكان زمن دورة الأول حول الشمس س ، وزمن الثانى ص فهذه الحقيقة هى كالمعادلة $م_1^2 : م_2^2 :: س^3 : ص^3$. وقد دل نيوتون فيما بعد بمعادلات رياضية وبالمقابلة أن هذه الحقائق الثلاث تنطبق لا على الأرض وحدها ، بل على كل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ، وقد عرفت بقوانين كبلر نسبة لمكتشفها العظيم

فى العصر الذى كان فيه كبلر يجرب أن يوحد أجرام النظام الشمسى بقوانين أساسية ثابتة ، ويحكم ظواهر الكون لمسبباتها الطبيعية ، كان بعيداً عنه وفى بلاد بعيدة ، رجل ايطالى منهمك فى صنع تلسكوب جديد لينظر به سطح القمر ، وليرى قوانين كبلر تعمل عملها بين المشترى وأقماره . فى سنة ١٦٠٩ صنع غاليليو أول تلسكوب ، وفى سنة ١٦١٠ استطاع أن يرى سطح القمر ويميز الأماكن المرتفعة من المنخفضة فيه ، وأن يظهر حقيقة المجرة كمجموعة كبيرة من النجوم الصغيرة المتقاربة من بعضها ، والتى ترى لكثرتها كأنها جسم واحد

فى مساء ليلة من ليالى يناير سنة ١٦١٠ أحرز غاليليو أعظم نصر عرفه النظام الكوبرنيكى على النظام البطليموسى ، إذ رأى حينئذ المشترى وحوله أقمار أربعة تحوم حوله . وهذا ما يؤيد

أن الأرض ليست هى وحدها صاحبة الكون ومركزه ، بل هناك أجرام أخرى لها ذات المزية التى اختصها بها اليونان الأقدمون . واستطاع غاليليو بذلك أن يسقط أهم دعامات النظام البطليموسى الذى يقول : إن الأرض وهى — أهم الأجرام فى السماء وأقدسها وموطن أرقى المخلوقات والمسرح الذى مثلت عليه مأساة المسيح ابن الله — لا بد أن تكون مركز الكون ومحور دورانه

ومن جملة الأسباب التى كان يحتج بها أرسطو فى تأييد النظام القديم ، هو أنه لو فرض دوران الأرض حول الشمس ، فان عطارد والزهرة يجب أن يظهرا بأوجه كأوجه القمر ، وبما أنا لا نرى شيئاً من ذلك فدورة الأرض حول الشمس فكرة فاسدة ، ولكن غاليليو لم يجب على ذلك قبل أن رأى فى تلسكوبه أوجه الكوكبين واختلافها بحسب موقعهما من الأرض ، وهكذا سقطت دعامة أخرى من دعامات النظام البطليموسى ، ولم يبق لذلك النظام إلا أن ينهار من أسسه التى لم تقدر على احتمال ضغط التجارب الشديد

منذ تلك الاكتشافات كان غاليليو سبب ثورة عاصفة من النقد والبحث والشك فى أوروبا . وكان الناس يتساءلون فيما قد تكون حقيقة هذا الكون الذى خدعهم ظاهره مدة طويلة من الزمن ؟ وماذا عسى أن يحدث من حط عظمة الأرض والانسان والخالق من مكانها الأول ؟ وما الذى تجيبه عليه الكنيسة والتوراة دحضاً لهذه المظاهر الجديدة وتطميناً للنفوس الحيرى المضطربة . ذلك ما زاد قلق الكنيسة والبابا على ضياع النفوس من حظيرتها ، فهبت تناصر القديم بالتوراة والدين ، وتشددت فى تعاليمها ورفضت كل معتقد غريب عنها ، وحاكمت من الشعب كل من عصى أمرها أو أهان قدرها . وكان غاليليو أول من صبت جام غضبها عليه ، فصادرت كتبه وأرغمته مرات على رفض معتقده والتمسك بما تقول الكنيسة ؛ وحوكم وعوقب من أجل ذلك . غير أن وقفة الكنيسة هذه لم تخفه ولم يهب سطوتها ، وقد جرب إقناع مناوئيه ببراهين منطقية وعملية على فساد فكرتهم ، حتى أنه كثيراً ما كان يناقضهم بحجج من التوراة ، وكان يقول لرؤساء الدين إن عملهم هو تعليم الناس كيف يذهبون إلى السماء لا كيف تدور السماء . بيد أن الكنيسة لم تعر ذلك سمعاً ، وأبت عليه أن يقارعها الحجة بالحجة خوفاً على هيبتها ووقارها أمام الشعب

وأخيراً فى سنة ١٦١٦ التأم المجمع المقدس فى روما ، وقرر رفض حركة الأرض رفضاً باتاً من تعاليمها وعد الاعتقاد بها هرطقة وعصياناً . وبعد ذلك بسنة أصدر البابا بولس الخامس أمره لغاليليو بألا يعتقد ولا يعلم ولا يدافع عن فكرته الجديدة . ومن بعض أتباع البابا وأصدقاء غاليليو من نصح له أن يفرض ما يعتقد به عن حركة الأرض فرضاً بدون أن يجزم بحقيقته . غير أن غاليليو ظل يشتغل حتى سنة ١٦٣٢ عند ما أظهر كتابه وفيه الحوار بين رجلين عن النظامين البطليموسى والكوبرنيكى ، فسمعت الكنيسة به ومنعت بيعه ، وأوعزت إلى محكمة التفتيش جلبه لروما ، وهناك حوكم وهدد بالتعذيب إن عاد وجاهر بانكاره ، وحكمت عليه المحكمة أن يتلو كل أسبوع أمامها مزامير التوبة السبعة لمدة ثلاث سنوات ، ولولا أصدقاؤه الكثيرون فى روما لذهب ضحية أفكاره الجريئة

لكن برغم كل ما فعلته الكنيسة من إرهاب وتشديد ، وبرغم كل ما أصدره البابا من أوامر تحريم وتعذيب ، فان الحقيقة ظلت سائرة فى طريقها إلى الأمام ، وما كانت لتختفى مرة إلا لتظهر للملأ بصورة أوضح وأروع من الأولى . وبدأت فكرة النظام الحديثة تتحقق تدريجياً فى عقول معتنقيها ، وتكبر وتتسع حول أساس جديد متين . وما زرع البذرة الأولى كوبرنيكس ونمت حتى أتى كپلر وغاليليو بعده وزادا فى نموها وتحكيم أصولها فى النفوس . ثم جاء نيوتون وربط أجزاء النظام الجديد بقانون الجاذبية العام ، وأثبت صحة الحقائق التى استلمها عن غاليليو وكپلر ببراهين رياضية دقيقة ، وظلت الفكرة تنمو وتتسع ، والنظام الشمسى يكبر باكتشاف سيارات جديدة فيه كأورانوس ونبتون ، حتى اكتشف نهائياً پلوتو فى سنة ١٩٣٠ وهو أبعد الكواكب السيارة عن الشمس . وكان ذلك خاتمة النمو المطرد فى فكرة النظام الشمسى الحديثة ، الذى ابتدأ من كوبرنيكس وبقى نحواً من ثلاثة قرون .

فرح رفيدى

البريد الأدبي

في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر

في مساء الخميس الماضي أقامت لجنة التأليف والترجمة والنشر في دارها مأدبة عشاء شرقية فخمة احتفالاً بمرور عشرين عاماً على إنشائها دعت إليها أعضاءها وأصدقاءها وصفوة من وجوه الأمة ورجال الصحافة ، فتوافوا إليها في الساعة الثامنة ، ثم تحلقوا حول الموائد الكريمة الشهية يتجاذبون ذكريات المودة ويتساقطون أعذب الأحاديث ، ويتمتعون بشعور الرضا عن اطراد النجاح لهذا العمل النافع المخلص . فلما فرغوا من الطعام وقف صديقنا الأستاذ احمد أمين رئيس اللجنة ، فألقى كلمة قيمة شكر فيها الحاضرين وألم بتاريخ اللجنة وأطوارها إلمامة وافية واضحة سننشرها في العدد القادم ، ثم عاد القوم إلى السمر بعد أن وقفوا على سر هذا المجهود الموفق ، وأدركوا أن بقاءه ونماءه إنما يرجعان إلى تجانس الميول فيه ، وإخلاص النية له ، ونبالة القصد منه ، وقوة الايمان به . وكانت فرقة هاوية من أعضاء نادي الموسيقى تفصل بين الأحاديث الحين بعد الحين بألحانها الساحرة ، فأضافت إلى جلال العلم ، وجمال الأخوّة ، بهجة الفن ونشوة الطرب ؛ ثم انقضى السمر بانقضاء الهزيع الأول من الليل ، وانصرف القوم مبتهجين بجمال الحفلة ، مغتبطين بنجاح اللجنة ، مثنين على جهود الأعضاء ..

أزمة المسرح

يجوز المسرح اليوم أزمة حقيقية ، وينظر المتشائمون الى مستقبله في كثير من الجزع . وقد عقد أخيراً في رومة مؤتمر دولي برعاية الأكاديمية الملكية الايطالية لينظر في شئون المسرح ، وعلائق المسرح والدولة ، وشهده جمع كبير من أقطاب الكتاب المسرحيين في مختلف البلدان . وخطب السنيور لويجي بيراندللو المندوب الايطالي ، فنوه بأهمية المسرح في تنظيم الحياة الاجتماعية ، وقال بأنه الاعراب الأسمى للفن ، وإنه يستطيع وحده أن يثبت الظواهر الخالدة لعصر من العصور . وتحدث الكاتب المسرحي الأشهر موريس ميترلنك عن أزمة المسرح فأنكر خطورتها ، وقال بأن المسرح يشبه طفلاً مريضاً منذ مولده ، وقد لا يصل الى اكتمال صحته قبل مرور ألفي عام ، أي بعد أن يكون قد استنفد كل أمراضه ، وكل آلام نموه . وإذن فان الحمى التي يجتازها المسرح اليوم ليست إلا مظهراً من مظاهر هذا التطور الطويل الأمد . ثم إن هذا العارض يرجع في الغالب الى عوامل خارجية لا علاقة لها بالمسرح ذاته .

وقد عني المؤتمر عناية خاصة بشئون المسرح الدرامي ، وبحث عدداً من مسائله الهامة ، مثل ظروف المسرح الدرامي الحالية وعلاقتها بظروف المناظر المسرحية الأخرى ، وخصوصاً السينما ، وهندسة المسرح ، والمسارح العامة والخاصة ، وفن المناظر والزخرف ، وأثر المناظر المسرحية في أخلاق الشعوب ، وعلاقة المسرح بالدولة ، وغيرها . وقد أثارت هذه المسألة الأخيرة في المؤتمر كثيراً من الجدل ، لأن جميع الدول الأوربية تحاول اليوم أن تضع لها سياسة خاصة للمسرح ، وتحاول أن تجعل منه أداة تعبر عن المثل القومية العليا . ومنها من تحاول بواسطة المسرح إحياء التقاليد القديمة ، ومزج الأساليب الحديثة بأساطير الماضي . وقد بذلت بالفعل جهود لتحقيق هذه الغاية بصورة عملية ، فأسست معاهد للثقافة المسرحية ، ولا سيما في روسيا والنمسا . وفي ألمانيا يغدو المسرح أداة حكومية . وفي هذه الوصاية التي تحاول الحكومات أن تفرضها على المسرح خطر على استقلال الفن يجب اتقاؤه

وتثير المسألة المسرحية اليوم كثيراً من الجدل ، ويذهب بعض المتشائمين الى القول بأن المسرح يحتضر . ولكن كثيراً من أقطاب المسرح يرون مثل موريس ميترلنك في هذا التصور مبالغة كبيرة . وقد قرأنا أخيراً في جريدة «الفيجارو» مقالاً بديعاً للكاتب المسرحي الكبير هنري برنشتين ، يقول فيه إن أزمة المسرح نغمة قديمة ترجع الى عهد ارستوفان ذاته ، وإنها مازالت تتجدد خلال العصور المختلفة ؛ وفي رأيه أن أزمة المسرح اليوم محلية ترجع أولاً الى أسباب اقتصادية ، أسلمها شبيبة

التنافس في بناء المسارح منذ الحرب ، وضغط الحكومة على المسرح وإرهاقه بالضرائب الفادحة ، وثانياً إلى ندرة الموهبة الدرامية ، وصعوبة العمل الدرامي

وهل نحن في حاجة إلى أن نذكر أن صدى هذه الأزمة المسرحية يتردد في مصر منذ حين ، وأنها قد تفاقمت حتى غدت خطراً حقيقياً على المسرح المصري ، بل لانبالغ إذا قلنا إن المسرح المصري لاوجود له الآن

احياء الأقصوصة الطويلة (الحكاية)

كتب الكاتب الكبير بول موران فصلاً ممتعاً عن الحكاية Nouvelle ، فلاحظ أنها تمزج بالقصة Roman ، وحمل على القائلين بأن الأقصوصة الطويلة إنما هي قصة من النوع الطويل ، ولكنها أقل منها حجماً . ويرى بول موران أن هناك فرقاً جوهرياً بين النوعين ، فالأقصوصة الطويلة صغيرة الحجم حقاً ، ولكنها تخالف القصة من حيث الجوهر ؛ ذلك أن القصة العادية لايحدها حجم ، وقد تطول أو تقصر فلا يغير ذلك شيئاً من موضوعها ، ولكن حجم الأقصوصة الطويلة يفرضه موضوعها ذاته . وفي وسعك أن تترك الكتابة في القصة إلى حين ثم تستأنفها دون حرج ، ولكن الأقصوصة إذا تركت على هذا النحو تصدع بناؤها

ويجب ألا تمزج الأقصوصة بالتصوير الموجز Esquisse وقيمتها قبل كل شيء في نوعها ، فهي عمل معتنى به وليست عملاً سهلاً سريعاً ؛ أما قيمة القصة فهي ما تخلعه عليها مواهب كاتبها ، وتخضع الأقصوصة لقوانينها الخاصة ، وهي لم تتغير منذ عهد الاحياء . وموضوعها دائماً هو أن تعزل شخصية أو عملاً ، وأن تجرده من ملحقاته ، وأن تخرجه من الحياة . أما القصة الغادية (الطويلة) فتحملنا إلى أفق خلق محض ، ولهذا كان الانكليزي قصصياً (روائياً) مجيداً ، أما الفرنسي فانه لبراعته في التحليل يجيد كتابة الأقصوصة .

وقد تستطيع أن تكتب قصة طويلة دون التزام الذوق الحسن ، أو دون موهبة وعبقرية ، ولكن الأقصوصة الحسنة لايمكن أن تكتب إلا طبقاً لأصول الفن ؛ فالكاتب الذي ليست لهمواهب فنية لايستطيع مطلقاً أن يكتب أقصوصة ذات شأن .

بين الدوتشي وجبرائيل دانونزيو

يقيم دانونزيو شاعر إيطاليا الأكبر منذ أعوام في قصره في «فتوريالى» على مقربة من بحيرة لوجانو ، وقد ذاعت في العهد الأخير إشاعات كثيرة عن علائقه مع زعيم إيطاليا السنيور موسوليني ، حتى قيل بأن الشاعر معتقل في قصره في الواقع وأنه لايسمح له بالانتقال منه أو استقبال أحد فيه إلا باذن خاص ، ولكن الظاهر أن هذه الاشاعات حديث خرافة ، وأن الصداقة التي توثقت بين بطل فيومي (دانونزيو) والدوتشي (موسوليني) لم تزعزعها الحوادث . وقد زار السنيور موسوليني أخيراً صديقه الشاعر الكبير في قصره في فتوريالى زيارة خاصة مجردة عن كل صبغة رسمية ، واستقبله دانونزيو بغبطة وحماسة ، وتعانق الرجلان عند اللقاء ، وصاح دانونزيو بصديقه . «هاقد أتيت أخيراً» ، وكانت آخر مرة زار فيها موسوليني صديقه ، منذ عامين حينما كان يزور تورينو وميلانو محتفلاً بذكرى الثورة الفاشستية . وقد وفد موسوليني على الشاعر عند الغروب وتناول معه العشاء ، واستمر معه حتى منتصف الليل ؛ ثم ودعه مرتحلا إلى مدينة كريمونا التي أعلن منها الزحف على رومه سنة ١٩٢٢ ، وكانت مهد الثورة الفاشستية .

مدام جولييت آدم

بلغت مدام جولييت آدم الكاتبة الفرنسية الشهيرة عامها الثامن والتسعين في هذا الشهر ، ومدام جولييت من أعظم كاتبات فرنسا المعاصرات ، ولدت سنة ١٨٣٦ ، وعاصرت أقطاب الأدب الفرنسي في عصر الجمهورية الثانية والأمبراطورية مثل هوجو ، ولامارتين ، وبلزاك ، والفردي فيني ، وموسيه ، وجورج ساند ، وكوبيه ، وموباسان ، وذاعت شهرتها منذ سنة ١٨٦٠ ؛ وكانت تتمتع من جراء جمالها الباهر ، ومواهبها الأدبية الممتازة في المجتمع الفرنسي الرفيع بنفوذ عظيم ، وظهرت لأول مرة روايتها الشهيرة «قريتي» Mon Village ؛ ثم كتبت من بعدها عدة قصص وكتب نقدية ؛ وأنشأت «المجلة الجديدة» سنة ١٨٧٧ فلقيت نجاحاً عظيماً وظهرت مواهبها الصحفية . وتعيش مدام جولييت آدم منذ نحو خمسين عاماً في أحد الأديرة التاريخية ، في قرية «جبيف سير فييت» ، وما زالت تستقبل هنالك كل يوم أحد كثيراً من أصدقائها العظماء ، وما زالت على رغم تقدم سنها تعني بالشؤون السياسية والأدبية عناية كبيرة .

وقد كان زعيم الوطنية المصرية المغفور له مصطفى كامل باشا على اتصال بمدام جولييت آدم ؛ وكانت بينهما رسائل منظمة ، يبدو فيها عطف الكاتبة الشهيرة على القضية المصرية ، ونشرت ترجمة بعض هذه الرسائل في ترجمة المرحوم مصطفى كامل

القصص

مهداة الى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

العـــروس ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يَرُقْها اليوم أن تجلس إلى المرآة جِلْسَتَها الطويلة ، فدلفت إلى النافذة تنوء بِهَمّ ثقيل على صدرها ، واتكأت بمرفقها على حافة المقعد ، ثم أزاحت السجف وجلست ترقب الطريق . وصكّ أذنيها غناء المغنّيات في بيت جارتها كريهاً نابياً كأنما ينعى إليها الشباب . . !

لقد جاوزت (إحسان) العشرين وما تزال قعيدة الدار ، تنتظر الخاطب المجهول يدقّ الباب ليطلب يدها . أتراها لم تكن أجمل من فلانة وفلانة وفلانة ؟ بلى ، وإنها لخير منهن ؛ ولكنهن تزوجن جميعاً وانتهى بهن القدر إلى المستقبل الذي تحلم به كل فتاة ؛ وهي وحدها ما تزال تنتظر . . !

***

وأخذ الزمن يتراجع ، كما تُطْوَى سَبِيبَةُ الخيالة [1] فإذا هي ما تزال بنت السادسة عشرة ؛ تزدهيها فتنةُ الجمال ، وتسيطر على نفسها كبرياءُ الغنى ، وتعبث بها أهواء الأنوثة الباكرة ؛ وإذا هي بين أترابها في المدرسة — كما كانت — معقدُ المنى ، ومجوى الخواطر ، وملتقى نظرات الغبطة ، لم يجتمع لواحدة من رفيقاتها يومئذ ما اجتمع لها مما تفخر به الفتاة ؛ فلم تكن لتشاركهن الحديث إلا على كبرياء وأنفة ؛ وحين يجرى حديث الشبان بينهن في همسٍ موسيقيّ مُطرِب ، كانت تمط شفتيها في سخرية عابثة ، ثقةً بأنها الفتاة المرموقة المشتهاة ، كأن على مَن دونها من الفتيات أن ينتظرن ريثما تختار هي فتاها المجدود ، ثم تترك لهنّ من بعدُ حقّ الأمل في الزوج الذي يشتهين . . . !

وكان لها من نشأتها وجاه أبيها ما يُفسح لها في الأمل ، ويمدّ لها أسباب المنى العريضة . ولكن أباها قد مات ! أفينقص من شرفها وجمالها وثرائها أن أباها قد مات . . فأين الخطّاب يزدلفون إليها ويزدحمون ببابها في طلب الرضى والقبول ؟

إنها لرهينة الدار منذ سنوات خمس ؛ فلا تبصر الطريق — على رغم عصريّتها — إلا من خصاص النافذة ، ولا تفارق محبسها إلا في ظل أمها الأيّم العجوز ؛ فلم تكن تعرف من الشبان غير ابن عمها (فريد) . لقد كان فيها ترى مثال الشاب الذي يداعب خيالها . لم يكن قد أتم دراسته العالية بعد ، ولكنه أتم الرجولة ؛ وكان على فقر من المال ، ولكنه على غنى في النفس ، وكمالٍ من الأدب والفضيلة . كم كانت تُعجب برجولته ونبله ! ولكنها لم تكن تسمح لنفسها أن تمنحه أكثر من الاعجاب . آه لو كان على سعة من المال . . . لتمنّتْ أن يكون زوجها الذي تقاسمه الحياة . . . مِن أين له أن يهيىء لها أسباب الرفاهية التي تشتهي . . . ؟

لم تكن تدرى أنها تحبه إلا يومَ جاءها البشير أنه خطب لنفسه فلانة ، فأغلقت من دونها الباب وجلست وحدها تبكي ما ساعفتها الدموع . ولم يكن يدرى أنه يحبها إلا يومَ زارها من بعدُ ، فاذا في عينيها تساؤلٌ وجواب ، وعلى شفتيها ابتسامة ذابلة ، ثم إذا هي تفرّ فتضرب الحجاب بينها وبينه ، خشية أن يرى على وجنتيها علامة التأثر ترسمها الدموع . . . !

ولكمَ تمناها لنفسه وبات يرعى خيالها لياليَ طويلة ، ولكنه كان يزجر نفسه أن تؤمل الزواج من إحسان ؛ وأين فقره وإقلاله من غنى إحسان . . . !

***

(١) سبيبة الخيالة : شريط السينما .

ومسحت الدموع عن وجنتيها ، وقالت تعزى نفسها :

« لقد تزوج فريد ، فما أسفى على زواجه ؟ إننى لجميلة ، وإننى لغنيّة ، وإن الشبان ليسرعون الى ذوات الجمال والمال »

وطافت برأسها أحلام ، وزيّنت لها الأمانىُّ دنيا بهيجة من الخيال أفعمتها أنسا وسعادة ؛ واستنامت الى المنى ، تصبح وتمسى حالمة بالخاطب المجهول

وتصرّمت الأعوام عاماً بعد عام ، وإحسان تعيش من أحلامها فى رضى وقناعة ؛ وحسْبها من مسرات الشباب أنها توقظ كل يوم واحداً من شباب أحلامها تساقيه المنى وتبادله الحب ، فاذا انتبهت من أحلامها السعيدة فالى حين ، كأنما هى من حبيبها على ميعاد

وأخذت زهرات الربيع تنتثر أوراقها دامية على الشوك ، لأن البستانى يحول أن تمتدّ اليها اليد التى تشعرها أنها جميلة ؛ ولكن بقيت على ثغر الزهر ابتسامته الناعمة ، لأنه من أحلامه على رضى وقناعة

لشد ما كان يعجب شباب الناحية باحسان ! فما يحلو لهم سمر إلا الحديث عن جمالها وفتنتها ، وما يطيب لهم مجلس إلا بذكر كمالها وشمائلها ؛ ولكنها على ما حلّت من نفوسهم أكرمَ منزلة — لم تبلغ أن تكون موضعَ الأمل عند واحد منهم أن تصير زوجته . لقد تقاصرت دونها المنى ؛ من إبائها ، وغناها ، وحرص أهلها على التقاليد

ومن أين لغير القليل من الشبان أن يُرضىَ مطامع إحسان ؛ من أين له (المعجزة المالية) ليؤدى لها المهر الذى ترضاه ، وينفقَ فى أكلاف العرس ما يُرضى التقاليد ؟

وطالت الأيام على العذراء الحالمة ، وبدأت تملّ وحدتها الفارغة ، وأخذت تسىء الظن بجمالها وفتنتها . ولم تجد غير المرآة تبثها خواطرها ، فتعودت الجلوس إليها الساعاتِ كل يوم ، تبادلها الرأى فيما تظهر به جميلة جذابة ؛ لعلها أن تجد بالجمال المصنوع رجلها الذى تحلم به . . .

أفتستطيع المرآة أن تمنحها الزوج إن منحتها الجمال ؟ . . !

واستيقظت من أحلامها حين توالت عليها الأنباء بأن صواحبها اللاتى كانت تسخر منهن وتُزهى عليهن بمالها وجمالها — قد تزوجن واحدة بعد أخرى ، واستقرت بهنّ الحياة فى بيت الأمومة

وهذه صديقة أخرى تتزوج . لقد طالما هزئت إحسان من (خديجة) جارتها وزميلتها فى المدرسة ؛ وما أكثر ما كانت تركبها بالدعابة الثقيلة والنكات اللاذعة حتى تطفر من عينيها دموع الذلة والانكسار ! لم تكن خديجة فى مثل جمال إحسان ، ولا لها قليل من جاه أبيها أو ماله ؛ ولكن ، هاهى ذى تتزوج وتعزف لها الموسيقى ، وإحسان ما تزال تنتظر . . . !

* * *

وانقطعت سببيةُ الذكرى ، فأفاقت إحسان من غفلتها ، وراحت تمسح الدموع عن وجنتيها بأطراف السجف وتنظر الطريق

وأخذ عينيها بريقُ الكُرات الملوّنة مدلاّة من حبالها ، يتلاعب بها الهواء تلاعبَ اليأس والهم بنفسها ؛ واضطربت فى مرأى عينيها الراياتُ الخضر . اضطرابَ أوراق الشجر هبّت عليها رياح الخريف . . . !

لقد كانت وحدها فى البيت ، فلم ترافق أمها إلى بيت خديجة لتزف إليها التهنئة . منذ أمس ، حين زارتها صديقتها داعية ، وهى لا تستقر على حال من لذع الغيرة وألم الحرمان ! وقدرت — إن هى أجابت الدعوة — أنها ستكون بين المدعوّات موضع السخرية والاشفاق ؛ وما تحب أن يسخر منها أو يشفق عليها أحد . . . !

ومرّ من تحت النافذة فوج من الشباب يقصدون بيت العروس ، وراحت إحسان تختبر فراستها ، لعلها أن تعرف زوج صديقتها من بين هؤلاء . أفكانت تريد ذلك حقاً ؛ أم هى تريد أن تعرف من بينهم رجل أحلامها الذى صحبته فى الوهم سنوات . . ؟

وزفرت زفرة خافتة ، وراحت تحصى سنيها التى عمّرتها على الأرض . ياويلتا ! اثنتان وعشرون سنة . . . ! لقد تزوجت أمها فى الثالثة عشرة ، فلعل إحسان لو تزوجت فى مثل سن أمها — كانت موشكة أن تصير جدة . . . ! وركبها اليأس ، واصطلحت عليها الأفكار السود ، ولم تجد لنفسها طاقة بالوحدة بعد ؛ فازّينت وأسرعت إلى بيت العروس تتفرّج . . .

وهاجت أحزانها مظاهر الفرح ، وبهرتها الأنوار البراقة ، ولدغتها ثعابين الغيرة من عناقيد الزهر متعانقة متشابكة ، ورنت فى أذنيها ضحكات النساء كأن قلباً من الزجاج ينكسر . وانتظم النساء حلقات — على عادتهن — يتهامسن عابثات ضاحكات ؛ فوقع فى نفسها أنهن يتهامسن فى شأنها ، فانطوت على نفسها فى زاوية من البهو تحاول ألا تتحدث إلى أحد ، أو يتحدث إليها

أحد . وخُيِّل إليها أن التمنيات التى توجهها إليها صواحبها — سخريةٌ وشماتة . . .

« العُقْبى لكِ . » ما أحراهن أن يترجمنها إلى اللغة الصريحة فيقُلْن : « الرحمة والرثاء لك أيتها العانس المسكينة . . . ! »

وأديرت — على برد الخريف — أكوابُ الشراب المثلوج ، ووُزِّعت الحلوى فى العلب المذهبة الثمينة ، وتزاحم النساء يتخاطفنها كأنما يقتضين الأجر على ما شرَّفن العروس بالحضور للتهنئة . . . ! ورأت إحسان أنها لم تتفرج مما بها ولكنها زادت همًّا على هم ، فأسرعت عائدة إلى الدار

ولم تنم المسكينةُ ليلتها ، ولكن أخذتْها إغفاءات متقطعة تتخلّلها الرُّؤَى والأحلام . وعاد تفكيرها فى الزواج بعضَ عملها اليوميّ ، ولكنها لم تعد تفكر فى الرجل — إذ تفكر فى الزواج — أكثر مما تفكر فى مظاهر الاحتفال ، وزينة العرس ؛ وفيمن تدعو ليشاركها الفرح من نساء المدينة وشبان المدينة ؛ كانت تفكر فى الانتقام لكبريائها التى زعمتْها ديست يوم عرس خديجة . سيكون احتفالاً خيراً من احتفالها ، وسيزيَّنّ البيت أروع مما ازَّيّن بيتها ، وسيجتمع لها من سراة المدينة ووجهائها من لم يجتمع لعروس قبلها . ستحاول يومئذ أن تسعر الغيرة والحسد فى قلوب كل صواحبها ، أكثر مما كانت تسعرها بكبريائها وتيهها عليهن وهى ما تزال صغيرة تطلب العلم معهن بالمدرسة ، أو تشاركهن اللعب فى فناء الدار . . . !

* * *

كان العام قد استدار ، وأخذت زهرات الربيع تتفتح ويضوع أريجها فى الجو ، ولكن قطرات من الندى كانت تبلّلها كدمعة الحزن فى وجه عذراء مستحيية . . . ولكنها تبتسم ؛ أكانت تصطنع الابتسام لتخفى عن الناظر بعض ما فى صدرها من هم ، أم كانت هذه دموع الفرح على وجنتيها . . . ؟

وأطلّ الفتيات من النوافذ يتعرّفن خطيبَ إحسان خارجاً من دارها فى جماعة من أهله ؛ ورأين بضعة من الرجال عليهم سيماء السراة من أهل الريف ، فى جلابيبهم الفضفاضة ومعاطفهم السود ، يلوون ألسنتهم بالحديث فى لهجة جديدة على أهل الحضر . وبينهم (أفندى) واحد يبدو من مظهره ، ونظام لباسه أنه وإن عاش فى المدينة طويلا — ما يزال بعضَ أهله

وقالت فتاة لأختها :

— « أهو هذا ؟ »

— « بل هو ذاك »

ولم يكن هذا ولاذاك ؛ ولكنه خرج بعد انفضاض الجمع ، يتوكأ على نفسه من ثقل وبدانة حشْوَ ثيابه الغالية ، يلوك بين شدقيه لساناً يتفقّد بقايا الطعام بين أضراسه ، ولم يُخْفِ ميلُ طربوشه أثر الوشم فى صدغه

وقالت فتاة :

— « أتنه لَهُو ؟ »

فأجابتها صاحبتها بابتسامة

وبرق الماس فى أصبعه ، ورفّ الذهب من سلسلة ساعته ، فقالت الفتاة :

« إنه لغنيّ . . . ! »

* * *

وكان الحفل الحاشد بعد أيام ، فاجتمع فيه من مظاهر البذخ والغنى ما لم يتهيأ لسكان الحىّ أن يشهدوا مثله منذ أعوام ؛ فأقيمت القاصف ، ووزعت الهدايا ، ودقت الطبول ، وعزفت الموسيق ، وتجاوبت ألحان المغنين والمغنيات بين فناء البيت وأعلاه ، وتناثرت نجوم الكهرباء تنقل الى الأرض بعض معانى السماء ، وعبق أريجُ الزهر يحمل الى أهل الحياة أنفاس أهل الجنة . . . وإحسان فى مجلسها راضية ناعمة ، تشرف من علٍ على الحفل وزينته فخوراً مزهوةً

لقد كانت فَرْحةُ الزواج عندها أن تشهد لنفسها مثل هذا الحفل ، وقد شهدته على أكمل ما أبدعتْه فى خيالها ؛ وبلغتْ مأملَها فى الظهور على صواحبها بما يتقاصرن عنه من بذخ وإسراف . أما الزوج ، أما الرجل الذى سترتبط اليه ويرتبط إليها فلا فكاكَ مدى الحياة ، أما رجلُ أحلامها الذى أحبته زماناً من طول ما صحبها فى الخيال — أما ذاك ، فما عليها أن تظل نائمة تحلم ما دامت قد انتقمت لكبريائها الجريح

لم تفتش المسكينة عن الرجل الذى سعدتْ فى الوهم بصحبته ، وذاقت معه على البعد نعيم الحياة ، وتنوَّرت من فكرها فيه عالَمَ الحب ودنيا الجمال . . . وراحت تفتش عما يُرضى الناس ويطلق ألسنتهم بالاعجاب . . .

وباعت سعادة العمر ؛ واشترت سعادة ليلة . . . !

محمد سعيد العريان

الكتب

هبـــة الأيام

فيما يتعلق بأبي تمام

تأليف الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل (١٠٧٣ هـ)

نشره وعلق عليه الأستاذ محمود مصطفى

أهدى إلى زميلي الأستاذ محمود مصطفى كتاب « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » من تأليف الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ ، وهو كتاب عثر عليه الأستاذ محمود مصطفى المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر في محفوظات دار الكتب المصرية ، فأعجبه منه جريه على طريقة القدماء في دراسة الأدب من التنقل بالقارىء من خبر مستطرف ، إلى معنى مستظرف ، إلى فكاهة بارعة ، إلى حكمة رائعة . فمدار الكلام عنده على أبي تمام ، ولكنه إذا ذكر قوة حفظه عرض لكثير ممن عرفوا بهذه المنقبة ، فروى من أخبارهم ما يروى صدى المتأدب ؛ وإذا ذكر مدحه لأحمد بن أبي دؤاد مثلاً عرج على حياة هـذا الممدوح ، بجلاها للقارىء بما لا يترك في نفسه بقية من حاجة ؛ وإذا مر بمعنى له تناوله الشعراء سرد من أقوالهم فيه ما يشبع نهمة النهم من طلاب الأدب . وهكذا جرى في كتابه من أوله الى أن فرغ منه ، وهذا عمل يثير الاعجاب حقيقة من عالم في هذا القرن الحادى عشر من القرون الهجرية ، وهو من القرون التى طغت العامية فيها على العربية ، وأصبح العلماء لا يحسنون فيها التأليف بالعربية الفصيحة ، فكيف بهذا النوع من التأليف في الأدب والموازنة والنقد ؟ ومؤرخو الآداب العربية يكادون ينسون الشيخ يوسف البديعي وأدبه في وسط تلك الظلمة القائمة ، التى غطت على الأدب العربي في تلك القرون المظلمة .

فكم أحسن الأستاذ محمود مصطفى بلفت الأذهان الى أدب الشيخ يوسف البديعي ، حتى لا تغطى عليه تلك الظلمة ، ولا ينسى مؤرخو الآداب عمله في وقت لم يكن لغيره عمل يذكر فيه .

وكم أحسن في تعليقاته على هذا الكتاب إذ تابع مؤلفه في طريقته ، فعرف قارئه بالرجال الذين عرض لذكرهم ولم يعرض للتعريف بهم ، وشرح ماوقع فيه من أشعار أبي تمام وغيره ، ولم يكن المؤلف يعنى الا بشرح القليل منها ، لأنه لم يؤلف كتابه لذلك وانما ألفه لتلك الأغراض السابقة .

وللأستاذ محمود مصطفى في شرحه طريقـــة تليق بوظيفته الجامعية ، فهو يعنى فيه بشرح المعاني الأصلية للكلمات وما خرجت اليه من مجاز أو كناية ، ثم يستخرج من ذلك معنى البيت وينقده اذا رأى أبا تمام قد خرج به عن الجادة ، فتكلف في الصنعة ، أو ركب الشطط في مجازاته ؛ وقد يجعل من نقده إطراءه اذا جمع موجبات الحسن في شعره ، وهى كثيرة فيه ، ولم يفته مع هذا أن ينقل من آراء الأقدمين الذين نظروا في شعر أبي تمام من الآمدى والجرجاني وغيرهما ، ثم يعقب على ذلك برأيه فيوافقهم تارة فيما رأوه في شعره ، ويخالفهم تارة أخرى فيه .

وقد جلونا بهذا كتاب هبة الأيام للقراء ، وعرفناهم قيمة عمل الأستاذ محمود مصطفى فيه ، وأدينا بذلك حقه علينا كأثر من أحسن الآثار الأدبيـة ، وبقى لنا عليه أشياء أردنا للزمالة ألا نعرض لها ، وأراد الأستاذ محمود إلا أن نطلق لقلمنا العنان مقرظين أو ناقدين ، وإنا نكتفي مما عندنا بهذين النقدين

فالأستاذ محمود في قول أبي تمام :

وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما
بحليها من كثرة الوسواس

يرى فيه استخداماً طريفاً حسناً ، لأن أمثلته قليلة في العربية ، والاستخدام عنده في أن الوسواس يطلق على صوت الحلى ، وعلى حديث النفس بما لا خير فيـه ، وقد أراد المعنى الأول في كلمة الوسواس الظاهرة في البيت ، وأراد الثاني في الموصوف المحذوف في قوله « ضعف ما » ، ولا شك أن هذا ليس من الاستخدام في شيء ، وليرجع الأستاذ الى تعريف الاستخدام وأمثلته في كتب البلاغة ، فسيرى أن هذا لا يشمله تعريفه ، ولا يشابه أمثلته .

وكذلك نخالف الأستاذ محموداً فيما صنعه في قول أبي تمام :

خلاصة تاريخ مصر الحديث

من الحملة الفرنسية إلى الوقت الحاضر

تأليف الأستاذ محمد الحسيني رخا

هذا الكتاب الصغير الذي يشمل منهاج السنة الرابعة الابتدائية ، من وضع عالم كبير قضى سنوات طويلة فى خدمة التعليم فى أدق مناصبه من ناظر بالمدارس الأميرية إلى مفتش للآداب بالمعاهد الدينية ، فلا عجب مع ذلك أن يكون كتابه هذا على ما هو عليه من الدقة العلمية ، وحسن الترتيب . ولقد كان هذا الكتاب أحد الكتب الثلاثة التى خصتها وزارة المعارف ، ووافقت على صلاحيتها فى المباراة التى أعلنت عنها فى عام ١٩٣٢ وتقدم للاشتراك فيها عدد كبير من المؤلفين .

وليست تقاس مهارة المؤلف هنا بما يحتوى عليه كتابه من المعلومات والوثائق كما هو الشأن فى الكتب المطولة ، وإنما تقاس مهارة المؤلف بمقدار نجاحه فى تسهيل تلك المعلومات وصوغها فى عبارات تناسب تلك السنة الدراسية ، وربط أجزاء المنهاج بعضها ببعض بطريقة فنية تضمن تحقيق الغرض المنشود من تدريس التاريخ . ولقد وفق الأستاذ الفاضل مؤلف هذا الكتاب توفيقاً يغبط عليه ، فصاغه فى صورة تحببه إلى الطلاب وتحبب إليهم موضوعه ، كما أنه اهتم بحسن الطبع واختيار الورق فجاء كتابه متقناً من جميع نواحيه . وإنى لأحمد لهذا المربى الفاضل جميل صنعه ، وأقدم كتابه إلى طلاب السنة الرابعة الابتدائية مع مزيد الاغتباط ؟

الخفيف

أزرين بالمُرْدِ الغطارف بُدَّناً ... غيداً ألفتهمُ زماناً غيدا

إذ يريد أبو تمام أن يفضل الجميلات من النساء على أرباب الجمال من أولئك الغلمان الذين افتتن بهم الشعراء ، وتغزلوا بجمالهم فى عصره وقبل عصره ، فلا يرضى هذا صاحبنا ، ويقول إنه لم يؤلف أن يقال إن المرأة الجميلة تزرى بالرجل الجميل ، مع أن أبا تمام لم يعن فى شعره هذا ، وإنما عنى أولئك الغلمان الذين غطى التغزل بهم على التغزل بالنساء فى ذلك العصر ، ثم يختار الأستاذ أن يقال إن مرداً جمع مرداء ، وإن غطارف جمع غطريفة ، وإن لم يرد ذلك فى اللغة ، فيكون خطأ من أبى تمام فيها ، ولا أدرى كيف نحمله هذا الخطأ ، ومعناه على ماتعطيه ألفاظه فى حدودها اللغوية واضح لا شىء فيه ، ولله العصمة وحده .

عبد المتعال الصعيدى

الفاروق عمر بن الخطاب

بقلم دياب عثمان العرابى

المتخرج فى دار العلوم

كان سرورى عظيماً حين أُتى إلىَّ هـذا الكتاب ، الذى خصصه مؤلفه الأستاذ دياب العرابى لدراسة حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لاتجاه أدبائنا الى تاريخ عظمائنا يتخذون منه المثل العالى والقدوة الحسنة ، والكتاب يقع فى نحو مائتين وستين صفحة من القطع المتوسط

تكلم المؤلف الفاضل عن حياة عمر فى الجاهلية ، ذاكراً نسبه ووصفه ومنزلته فى قومه ، ثم تكلم عن دخوله فى الاسلام ، وعن حياته فى عهد الرسول ومواقفه المشهورة إلى جانبه صلى الله عليه وسلم ، ثم تكلم عن عمر يوم السقيفة ومبايعته لأبى بكر ، إلى أن تم له أمر المسلمين فتكلم عن فتوحه وأعماله وإصلاحاته فى الدواوين وموقفه من عماله وموقفه من بيت مال المسلمين ، ثم شرح حادث مقتله وبين تحوطه للخلافة ووصايته قبل وفاته

وهو بلا شك بحث ممتع ينظم هذا الكتاب فى سلك المؤلفات التى تملأ قراءتها القلوب غبطة والنفوس عظة ، والتى تؤثر من الوجهة الخلقية تأثيراً قوياً فى نفوس القراء صغارهم وكبارهم

بيد أنى ، على الرغم من سرورى بتلاوة هـذا الكتاب واستمتاعى بما جاء فيه من حوادث ومواقف رائعة ، لا أقر الأستاذ المؤلف على بعض نقط فيه ، كاسهابه فى وصف الفتوح وتعرضه لتفاصيل جعلتنى عندها أتساءل : هل يدور الكتاب حول تاريخ الدولة العربية أيام عمر ، أم هو يدور حول دراسة عمر نفسه ؟ ولو أن الأستاذ وجه اهتمامه الأكبر إلى بسط أخلاق عمر واتخذ من أعماله مع الاكتفاء بالاشارة إليها أمثلة لما يقول لكان كتابه أكثر لذة وأقرب إلى الغرض . على أنه فى وضعه هذا وما احتوى عليه من حوادث ومواقف مشهورة من حياة عمر جدير بأن يحرص على قراءته والاستفادة منه كل أديب . والحقيقة أن المؤلف قد أتى فيه على طائفة من العبر القوية ، والأخلاق العالية ، والحوادث الشيقة مما يجعلك تنسى التأليف وطريقته ، وتندمج اندماجاً تاماً فى تلك الشخصية العظيمة التى يدور حولها الكلام ، بحيث تفرغ من قراءتك وأنت تحس إحساساً شديداً بالغبطة والارتياح ؟

الخفيف